

## الحدود التاريخية للحدود الشرقية للعراق

صلاح سليم علي

مقدمة:

تعد منطقة الحدود العراقية مع إيران واحدة من أكثر مناطق العالم تعقيدا من النواحي الأنتروبولوجية والإثنية والجغرافية والسياسية والحضارية مما اضفى الى تاريخ الأمم التي استوطنت بلاد الرافدين وإيران طابعا خاصا أثر ومابرح يؤثر على العلاقات بين العراق وإيران ويسقط ظلالة القرية على الشرقيين الأدنى والأوسط والبعيدة على دول الشرق والغرب ممن تؤثر وتتأثر بأقدار البلدين والسياسات التي تنتهجها... غير أن العلاقات بين العراق وإيران تعد الأكثر تعقيدا وتشعبا عبر التاريخ وذلك لتجاور البلدين بخط حدود يبلغ 1.472 كلم، فضلا عن وجود ما يقرب من 42 نهرا ورافدا وجدولا كانت تصب في العراق وبضمنها نهر "الوند" الذي يسهم بما يقرب من 40 بالمائة من نهر "ديالى"، بالإضافة الى نهر "الكارون" و "الكرخة" و "دويريج" و "الطيب" التي تصب في الاهوار او نهر دجلة قبل ان يعمد الجانب الايراني الى قطعها..

وبقدر تعلق الأمر بتكوين الأمم، لابد من الإشارة الى أن الشعوب والأقوام والأعراق المختلفة تغير اماكنها من منطقة الى اخرى عبر الأزمنة المختلفة والى ان سكان منطقة ما من العالم ليسوا في الأغلب هم السكان الأصليين لتلك المنطقة.. ويصدق هذا على معظم مناطق العالم.. فقد استوطن العالم الجديد أناس غير سكانه الأصليين، واستوطن الأتراك بلادا كانت تنتوزعها امم اخرى كالحثيين والحاثيين والأرمن والآشوريين والسكيثيين واليونانيين والفقاسيين وغيرهم.. غير ان الأمم التي استوطنت وادي الرافدين وإيران عديدة في كلا البلدين.. ودرجة التجانس التي تصف الأمم التي استوطنت وادي الرافدين أعظم منها لدى الأمم التي استوطنت إيران ربما باستثناء المناطق الحدودية بين البلدين التي شهدت تنوعا اثنيا هائلا سننطرق اليه في هذه الدراسة..

وتتصف العلاقة بين الجانبين الأيراني والعراقي بالتنافس والصراع والاحتراب فضلا عن التعاون والتبادل الحضاري والثقافي على الرغم من رجوح كفة الاحتراب والتنافس والصراع على الكفة الأخرى.. وتعود العلاقات الى العهود السومرية الضاربة في القدم اي قبل استيطان الميديين والفرس اراضي إيران بحدود الفي سنة إذ نطالع في منحوتة الملك نيرام سين المحفورة على واجهة احدى حافات سلسلة جبال قوبي في دربندي كورة على مقربة من قرية قره داغ الواقعة على بعد 70 كم الى الجنوب الشرقي للسليمانية.. وتمثل الملك الأكدي الذي حكم سومروكيش للفترة 2255 - 2218 ق.م. حاملا مطرقة وعند قدمية يستلقي أثنان من اللولوبي أو الكوتيين الذين يرمزون الى اعداء أكد [تماثل هذه المنحوتة منحوتة تصور الموضوع نفسه في متحف اللوفر]، ويوجد نقش كتابي ربما كان تعريفا للملك الذي أمر بحفره إلا أن النقش ممسوح ربما بهدف تمويهه التاصيل الحضاري للمنطقة. وفي موقع اعلى من مكان المنحوتة نطالع بقايا قلعة ومقبرة.. وتؤكد هذه التحصينات الدفاعية القريبة من زاكروس وفي مراكز مهمة داخل زاكروس لاحقا الجهد العسكري للأكديين في اثناء حكم سرجون الأول وأبنة نيرام سين في مواجهة الكوتيين وهم أقوام زاكروسية تتواجد في منطقة همدان التي بنى فيها كيخسرو الثاني أجبنانا لاحقا. وكان الكوتيون قبائل همجية لاحظ لها من حضارة ولم يؤثر عنها شيئا يستحق الذكر سوى أنها اجتاحت جنوبي العراق واسقطت السلالة السرجونية على عهد ابن نيرام سين شار- كالي- شاري زهاء 2210 ق.م. وقد تمخض غزوهم العراق عن توقف الزمن وتعطل

الحضارة وركود الحياة على مدى 100 سنة ليطردهم منها نهائيا ملك اوروك أوتوهنكال عام 2130 ق.م.

وفي العصر الآشوري الحديث توغل الآشوريون فيما وراء جبال زاكروس وقاموا بتأسيس مقاطعتين آشوريتين غربي إيران هما (بارسوا) و (بيت همبان) في أثناء حكم الملك تكلابليزر الثالث عام 744 ق.م. ثم أردف الملك سرجون الثاني هاتين المقاطعتين ببناء مدينتين عسكريتين أخريتين هما مدينة نركال (كيشيميم) او (كارنركال) التي تقع اطلالها حاليا في مدينة نجف آباد، ومدينة سرجون او كارشيروكين (هرهر) التي تقع اطلالها على الأرجح بين همدان وملايروتبعد 25 كم عن ملاير في الطريق الى همدان وقد بنى الفرس على الأسس الآشورية معبدا للنار وأعادوا تسمية القلعة فأسموها قلعة نوشيجان.. وبقينا فأن تمركز الحصون الآشورية في منطقتي همدان وكرمنشاه يعود الى كون المنطقة بينهما البوابة الأيسر الى الهضبة الأيرانية التي يعد الآشوريون السيطرة عليها بمثابة مفتاح للسيطرة على الشرق بأكمله قياسا بالمنافذ الجبلية الوعرة الى الشمال او مناطق الأهوار الى الجنوب ومما تتطوي عليه من صعوبات طبوغرافية وعسكرية خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار استخدام الآشوريين للعجلات والخيول بالدرجة الأولى.. غير أن الآشوريين كانوا قد وقعوا في خطأ كبير عندما استخدموا حرسا ميديين في قصورهم كانوا السبب في تخريب دولتهم وهذا ماكرره بعدهم العباسيون باعتمادهم على الفرس ثم الترك جندا في بلاط الدولة العربية لاحقا.. كما عمد الآشوريون وفي خطأ آخر الى تعيين خصيان من زاكروس حكاما اقليميين على المدن التي اسسوها في زاكروس كانت وظيفتهم بالإضافة الى الإشراف على تجارة الخيل وجمع الأتاوات وجباية الضرائب، التجسس على نشاطات الزعماء القبليين الميديين ك(آشور- دا-ايناتي) الذي كلف بقيادة حملة آشورية على الميديين في زاكروس عام 733 ق.م. وعلى الرغم من القلاقل وتتابع الخيانات في المراكز الآشورية في زاكروس وبخاصة في القرن السابع ق.م. فأن المصادر تؤكد استمرار السيطرة الآشورية على المقاطعات الأربع التي اسسها تكلابليزر الثالث وسرجون الثاني حتى عصر آشوربانيبال. وتصور لوحة آشورية مفقودة كان رسمها فلاندين في قصر سرجون الثاني في مدينة سرجون بالقرب من باريا مشهدا لحصار آشوري على قلعة (كيشيميم) قبل أن يحولها سرجون الى مدينة نركال القلعة الميضية المحصنة على قمة جبل بدليل قشر السمك الذي يستخدمه الفنان الآشوري في تصوير المناطق الجبلية وفي أعلى مسننتاتها قرون وعول جبلية وبينما يواصل بعض المدافعين القتال يلقي الآخرون أسلحتهم رافعين أيديهم علامة استسلام امام المهاجم الآشوري. على ذلك اصبحت ميتورنات (ديالى) وعرفة (كركوك) وأربا أيلو "مدينة الآلهة الأربعة" (أربيل) جزءا من القلب الآشوري بينما كان العمق الزاكروسي مواقع آشورية متقدمة وظيفتها الحفاظ على أمن القلب الآشوري وسلامته كما نجد تفسيراً لكثرة التلال التي تخفي مراكز مدنية في منطقة ميتورنات [ديالى]..

وتؤكد المدن والقلاع الأكديّة والبابليّة والآشورية في زاكروس وعبر زاكروس في إقليم كرمنشاه وهمدان واصفهان..وهي قلاع تعود الى ثلاث مراحل تاريخية مصاحبة للعصور الأمبراطورية في بلاد الرافدين أولها العصر الأكدي حيث ضم سرجون الأكدي (2276- 2215 ق.م.) بلاد عيلام الى أكد ويرجح أن تكون زقورة ومعبد أنتشاه في اصفهان بناءا أكديا عمدت السلالات الحاكمة منذ الفترة الميضية الى محو معالمها وازالة الكتابات المسمارية منها ثم بناء برج الضحية او القربان على جانب منها غير أن الفحص الكربوني أكد ان البناء يعود الى العصور السابقة على الوجود الفارسي والميدي في إيران..كما تؤكد الثوابت التاريخية بناء الآشوريين لأربع مستوطنات او مدن عسكرية في سفوح زاكروس الأيرانية [تامفتوحة على الهضبة الأيرانية] هما بيت همبان (نامار) في كرمنشاه والآخر بارسوا (وتعني المنطقة الحدودية أو الضلع، وهي تسمية لحقت فيما بعد الفرس) في (نيكور) بين أفرومان وسندج. وكان تكلابليزر الثالث قد أسس هذين الموقعين عام 744 ق.م. تلاه سرجون الثاني بتأسيس مستوطنتين أخريتين هما مدينة سرجون (خرخر) أو (هرهر) التي تعرف ايضا بتليسار أو تل آشوري، سيسيري أو سيسيرتي على نهر خورخورا، ومدينة نركال كيشيشيم التي حولها سرجون

الثاني الى مدينة آشورية بعيد دحر الميديين فيها عام 716 ق.م. وموقعها في مدينة نجف آباد في مقاطعة اصفهان حاليا. وكان الآشوريون يبنون حصونا أو يحولون حصونا ميدية الى آشورية عبر طريق خراسان وبمحاذاة نهري تورنات وخرخورا.. وكانوا أحيانا يجدون مدنا عراقية كان قد شيدها البابليون أو الأكديون قبل قرون في المنطقة فيجدونها ويعيدون بناءها كمدينة كودين تبة غربي ايران في طبقتها الخامسة حيث كانت مركزا لتجارة اللازورد [اللاييز لازولي] بين بادكشان في افغانستان والمدن السومرية.. وهناك مصادر تضع مدينة تل آشوري على نهر ديالى في الحدود بين بابل وزاكروس ويطلقون عليه (سيلحازي) التي سماها تكلثليزر الثالث بقلعة البابليين.. وكان قد شيدها فيها معبدا تخبرنا المصادر أنه كان مقرا لعبادة الإله البابلي مردوخ.. وكان تكلثليزر الثالث قد جلب أسرى [أراميين] من بيت عاديني، ربما بعد معركة قرقر في شمالي سورية، الى تل آشوري.. حيث مركز عبادة مردوخ البابلية وهو إله للآراميين من بيت عاديني ايضا... ونلاحظ أن الدول الآرية المتتابعة على حكم ايران تسعى الى طمس معالم الوجود الأجنبي في تاريخ اراضيهم وهذا يفسر سبب اهمال الحصون والمدن الآشورية في زاكروس أو تمويه معالمها ببناء معابد للنار فوقها أو إتلاف الكتابات على حجارتها أو ازلتها وتدميرا يمكن تدميره منها أو استعارة افكارها ورموزها التعبيرية وإلصاق أسماء ورموز قومية اخرى عليها. ومن أبرز القلاع الآشورية التي طالتها يد الأهمال أو التثويه قلعة نوشيجان في ملاير بين همدان وخرم آباد حيث بني على الأسس الآشورية معبدا للنار ووقفت السلطات اية تنقيبات في الطبقة الثالثة من التل، وقلعة نهريين التي صحفت الى نيرين في يزد وهي قلعة تشبه في بنائها قلعة بيرتا (تكريت) وقد حولتها السلطات في ايران الى حاوية نفايات وكذلك الأمر في حصون صحنة وسنندج ونكشهر وغيرها.. وبالمقابل قام سكان المناطق المجاورة لقزوين من اسلاف الديلم [الكاشيون] بغزو بابل عام 1531 ق.م. لحين اسقاط حكمهم في بابل على يد الملك الآشوري توكولتي نينورتا الأول عام 1155 ق.م.

ثم قام الميديون بالتعاون مع البابليين والسكيثيين باسقاط نينوى عام 612 ق.م. وفي عام 539 ق.م. قام قورش بغزو بابل وتدميرها وارجع اليهود الذين كان نبوخذنصر الثاني قد جلبهم الى بابل الى مدنهم مما يؤشر على اول تعاون بين الفرس واليهود في التاريخ القديم.. كما قام الفرثيون وهم من امم اسيا الوسطى وتشكل حضارتهم خليطا من العناصر الهلنستية والايرانية باحتلال العراق من 141 ق.م. وحتى 224 م. عندما اسقطهم الفرس الساسانيين الذين حكموا العراق من خلال المناذرة من عام 224 م. وحتى عام 651 م. عندما سقطت دولتهم الى الأبد واصبحت بلاد فارس ومعظم القارة الآسيوية تحت راية الإسلام.. وكان الجيش العربي في القادسية يتألف من 30.000 مقاتل في مواجهة 60.000 من الفرس فانتهت المعركة بمقتل 30.000 فارسي مقابل 6.000 شهيد في الجيش العربي ومع موت الملك الفارسي يزدجرد الثالث انتهت الأمبراطورية الساسانية التي استمرت اكثر من 300 سنة.. وابتكر ملوكها لقب الشاهنشاه اي ملك الملوك.. على ذلك تشكلت لدى الأيرانيين هوية مزدوجة اولهما قومية اعجمية ترتبط بالعهد الأمبراطوري والثانية إسلامية.. اتخذت على عهد اسماعيل صفوي المذهب الشيعي العربي دينا رسميا للدولة.. وكان الإحتلال الثاني للعراق على عهد الديلم أو القزوينيين الذين احتلوا بغداد وهيمنوا على مقدرات الدولة العباسية خلال الحكم البويهى للعراق.. وبعد عهود طويلة تخللها العديد من الحركات الانفصالية والفتن الدينية منذ عهد الخليفة العظيم عمر بن الخطاب (رض) وحتى عهود الإستكبار العثماني، اصبح العراق هدفا للتنافس بين غطرسة الفرس وعجرفة الترك وعلى مدى خمسة قرون بدأت قرابة عام 1500 م. فقد احتل اسماعيل صفوي الشاه الفارسي العراق عام 1508، ليسترد السلطان العثماني سليم الأول السيطرة على العراق عام 1514 بعد معركة جالديران.. وفي عام 1529 احتل الفرس العراق مجددا فاستعاد السيطرة عليه السلطان سليمان القانوني عام 1543.. وفي عام 1555 عقدت اتفاقية اماسيا بين الدولتين واستمرت لعشرين سنة واستمر العراق تحت السلطة العثمانية حتى عام 1623 عندما احتله الفرس مجددا وبقي كذلك عقودا قيل ان يعمد السلطان مراد الرابع الى طردهم واحتلال بغداد عام 1638. وفي عام 1639 عقد الطرفان اتفاقية زوهاب [قصر شيرين] التي انتهت الحرب بين البلدين بمنح ايريفان الأرمنية كلها

لأيران مقابل العراق بعاصمته وأهله ورافديه ومعها الكويت التابعة آنذاك للبصرة للترك وحددت الحدود العراقية الحالية باعتبارها حدوداً للإمبراطورية العثمانية.. غير أن النزاع حول الحدود استمر حتى العقود المتأخرة من القرن العشرين وبخاصة فيما يتعلق بالملاحاة في شط العرب الذي يسميه الأيرانيون اروند رود.. وقد تم كل ذلك في غياب دولة عراقية ذات سيادة [باستثناء عقود متأخرة قليلة] تمنع التجاوزات على أراضيها ومواردها وتراثها التاريخي..

وتضاف إلى صفحات التنافس والصراع والاحتراب بين البلدين على الأرض والمياه والسيادة، مشكلة المشترك والمختلف على الصعيد الديني والمذهبي إزاء الأبعاد القومية والعنصرية في البلدين.. فبينما يرتبط الفرس بالهنود اثنيا على الرغم من الفروق التي ميزت العنصرين بسبب العوامل الجغرافية والبيئية، نجد فروقا هائلة بين الهندو أوربيين ومنهم الفرس من جهة والساميين ومنهم العرب من جهة أخرى.. فالفارسي في طبيعته ميل إلى الأمتثال بالقوانين وإلى طاعة السلطة الحاكمة بينما لا يقرب العربي بأية سلطة وبخاصة إذا كان الثمن حريره التي يحل محلها الإستبداد في الحكم إن هو تحول حاكماً كما نلاحظ ذلك في فترة الحكم الأموي الذي أفرز حكاماً أقوياء وبخاصة في العراق الذي تعاقب على حكمه زياد ابن أبيه وخالد القسري ويوسف بن عمر والحجاج بن يوسف الثقفي.. وبذلك يمثل الأمويون عرقهم السامي أفضل تمثيل.. والعربي الأصيل أرستقراطي في طبيعته يرتبط حسه الفروسي بشعوره بالانتماء إلى أمته العربية وقد يصل هذا الشعور حدوداً من التطرف تصل العصبية إلى قبيلته ليس على حساب الأمم الأخرى كالعجم والروم والأحباش والهنود فحسب بل على حساب قبائل عربية أخرى.. وكان هذا نصيب قبيلة باهلة وغيرها من القبائل العربية الأقل شأناً من قبائل قريش أو من التحالفات القبلية القوية الأخرى.. وقد انعكست هذه الروح القبلية لدى الأمويين على سياستهم تجاه الفرس ولاسيما تلك العناصر الفارسية التي استوطنت الكوفة والبصرة وواسط ممن اعتنقوا الإسلام وعرفوا بالموالي.. وبخاصة في أثناء حكم الحجاج.. وكان الموالي الفرس قد شاركوا بثورة المختار.. واتخذوا موقفاً معادياً للحكومات العربية المتعاقبة في دمشق على العهد الأموي وبغداد على العهد العباسي.. ومع مجيء العباسيين إلى السلطة، ظهرت الحركة الشعوبية واولكت إلى الشعبويين دواوين الدولة ومن أبرز الشعوبيين أبو عبيدة معمر بن المثنى الذي كتب في اللغة والأدب وأيام العرب إضافة إلى كتاب الموالي وكتاب فضائل الفرس، والهيثم بن عدي الذي مجد الفرس في كتاب الفرس إزاء تدوينه المتكرر للعرب، وعلان الشعوبية وغيرهم.. وقد ولد معظم الشعوبيين في حواضر عربية كالبصرة والكوفة وكانوا مقربين من دار الخلافة.. وهم ذوو بطانة فارسية ولسان عربي.. يمثلون في الفكر والتأليف ما كان أبو مسلم الخراساني وبابك الخرمي وصاحب الحشاشين والأسر الفارسية الثلاث أسرة البرامكة، وأسرة آل سهل والأسرة الطاهرية يمثلونه في السياسة والمكر والحرب.. وقد توغل الفرس في الجهازين العسكري والإداري على عهد الخلفاء العباسيين، فلم يكتف الفرس بالتناصف بالسلطة بل ضمير الكثير منهم العداء للخليفة العباسي مما تسبب في مقتل الكثير من الوزراء الفرس منذ عهد أبو العباس وحتى عهد المأمون.. وفي بلاد فارس من جهة أخرى استمرت ثورات الفرس واصبحوا حاضنة للحركات الانقلابية ضد الدولة كحركة سنباذ والراوندية وحركة استاذ سيس والمقنع وبابك الخرمي والمازيار بن قارن وحركات الزندقة وثورة الزط وغيرها.. وكان الفرس يسيرين في شوارع بغداد والكوفة والبصرة وواسط بملابسهم الفارسية ويتحدثون بلغتهم الفارسية على الرغم من اتقانهم العربية.. وكانت بلاد فارس وجزء كبير من القارة الآسيوية جزءاً من الدولة العربية الإسلامية..

ولم تكن فكرة الحدود الفاصلة بين الأمم ترتكز على فكرة الدولة القومية التي لم تظهر حتى القرن التاسع عشر، فقد كانت الدول أو الإمبراطوريات القديمة وحتى سقوط الإمبراطوريتين العثمانية والروسية تضم أمماً وشعوباً وأقليات مختلفة وكان المواطنون الذين يطلق عليهم رعية يتحدثون بلغات ولهجات مختلفة ويمثل الإتحاد السوفيتي قبل التفكك نسخة متأخرة لهذه الإمبراطوريات.. ولغة الدولة هي لغة الجماعة الإثنية التي في السلطة وهي لغة الإدارة العامة.. والسلالة الحاكمة تنتسب إلى

تلك الجماعة الإثنية التي هي في السلطة كما في الدولة الأموية.. وقد لا تكون السلالة الحاكمة من الجماعة الإثنية الحاكمة.. كما هو الحال في الدولة العباسية، حيث شاركت أو استولت قوى اجنبية على مقاليد السلطة كالفرس والبويهيين [الديلم] والترک فالسلاجقة [الأترک].. مع ذلك تشكل الفواصل الطبيعية كالجبال والأنهار والمسطحات المائية الأخرى كالأهوار والبحيرات حدودا طبيعية.. وليس لبلد الرافدين حدودا طبيعية محددة في اي من جهاتها مما جعلها عرضة للأختراق من قبل جيرانها لأن سلسلة جبال زاكروس تقع ضمن الأراضي الأيرانية والأهوار تتداخل بين البلدين بينما يشكل شط العرب في وسطه وفق آخر اتفاقية حدودا بين البلدين لا يمكن تعليمها ولا يمنع تعليمها، ان أمكن، من عبور القوارب الأيرانية خط الوسط [الثالوك] الى الجانب العراقي أو اقامة مشاريع في الجانب الأيراني يكون المتضرر منها الجانب العراقي..

ولابد من الإشارة الى أن ايران ومنذ ظهور الدولة الصفوية اعادت رسم خارطتها الروحية لتشمل العتبات المقدسة في العراق .. فاصبح الفرس بحكم هذه العقيدة يعدون زيارة العتبات المقدسة في قلب العراق واجبا دينيا مقدسا يرقى لفريضة الحج الى بيت الله الحرام، وقد صاحب تقديس آل البيت (ع) اضعاف شعائر جديدة انفرد بها الفرس وانتشرت لتشمل اتباع المذهب في كل مكان كما اضعى الفرس بعدا ايدولوجيا على المذهب العربي الذي اتخذه دينا لدولتهم .. وهو بعد ايدولوجي يشكل مقطعا عرضيا يمتد عبر صدع او شرخ عميق في التاريخ العربي الاسلامي وهو شرخ الانقسامات المتصلة بين القيسية واليمانية وبنو امية وبنو هاشم والامويين من جهة والعلويين وحلفائهم من الفرس [الموالي]، وبين السنة والشيعة.. مما يجعل التاريخ العربي الإسلامي تاريخا جامدا لا يتحرك [على الرغم من الاضطرابات والقلاقل المتكررة] فالحوادث تدور حول محور واحد وجدلية الحوار اعطت مكانها لجدلية الاضطراب والتحارب.. مما يمنح الماضي القدرة على اعادة توليد نفسه.. ويكون الشرخ من الاتساع بحيث يتيح المجال لقوى اجنبية من التدخل تماما كما تدخل تيمورلنك في القرن الثالث عشر.. ويتدخل الغرب في الوقت الحاضر.. ومع تواصل اطراف الصراع واستمرار القناعات والايديولوجيات نفسها اليوم، تكتسب مشكلة الحدود والاقليات الواطنة فيها دورا مهما قد يفاقم من حدة الصراع والتنافس بين القوى الراهنة.. وتوخى للحياد في الحديث عن الاقليات الاثنية بين العراق وايران، نعد الى ترجمة ادبيات لمتخصصين في الاثنوبولوجيا والتاريخ وعلم الإنسان بعد استعراضنا لمجريات احداث بعينها في العهد الاشوري..

## العهد الاشوري:

تعود ظاهرة التنوع الإثني في منطقة الحدود الشرقية للعراق الى العهود القديمة.. وتحديدًا خلال الامبراطورية الاشورية التي انتهج عدد من ملوكها سياسة التهجير الجماعي للآراميين واليهود وغيرهم الى المناطق النائية لكي يشكلوا منهم كيانات عازلة ولأبعادهم عن المراكز المدنية في العراق تفاديا للقلاقل التي قد يثيرونها ولأستثمارهم في الإعمار والزراعة في تلك المناطق.. وكانت جمبولو هي التسمية التي اطلقها الآشوريون على منطقة الحدود بين العراق وغيلام فاصبحت تعني بوابة عيلام واراض المياه في اشارة الى منطقة الأهوار التي ارسل سرجون الثاني القبائل الآرامية اليها بعيد ضمه لبابل وتأسيسه لحكومة اقليمية في شرقي بابل وجنوبي العراق فذكر في احدى حولياته : [لقد اخضعت "انا سرجون" مردوخ ابلا ايدينا الثاني ملك كالدو الذي يعيش على ضفاف الماء المالح "اشارة الى الخليج" وعمدت الى تقسيم بلاده الكبيرة كلها الى اقسام متساوية وسلمتها الى ضباطي حكام بابل وجمبولو].. وتمتد جمبولو من أرونهر الكرخا "اكنو" [الاشورية] بالقرب من الحدود الشرقية لغيلام والتي تحدها بابل من الغرب، جنوبي وشمالي بيت ياقين بوقودو.. وتعود تلك الأراضي الى جماعات كلدية مهاجرة ومهجرة عبر مراحل متباعدة من الزمن.. على ذلك فإن مصطلح [جمبولو] أو [كمبولو] " بالكاف المنبرة" ، يشير الى المنطقة وهي منطقة البطانح او الأهوار الممتدة بين واسط والبصرة [كسكر الإسلامية] وكان سرجون الثاني قد قسمها الى ست مقاطعات هي تربورغاتي

وتيماسونو وباشور وحيريتو وحليمو وعاصمة كمبولو كلها هي آثارا [دور آبيثارا] التي اطلق عليها سرجون الثاني فيما بعد اسم "نبو" [إله سومري يعبد في بلاد آشور وله معبد في قلب مدينة النمرود]، وكان آشوربانيبال في حملته المضطربة ضد عيلام عام 655 ق.م. قد جلب المتمردين ومعهم بقية اولاد بعل ايقيشا واقربانه واعضاء اسرته ومواشي واغنام ومعيز كمبولو الى بلاد آشور. ويحدثنا عالم الآثار الفنلندي سيمو بارابولا عن رسالة ارسلها آشورآلي ماني الحاكم الاشوري لعرفة [كركوك] الى تكلابليزر الثالث من مدينة سابيا التي يحكمها الحاكم الكلداني مقين زري الذي اعلن عصيانه في منطقة الأهوار يخبره فيها عن تفاصيل القتال بقيادة القائد العام الاشوري [الترتانو] شمش بونيا ضد المتمردين ويشره بانتصار الآشوريين على بيت اموكاني.. وتقع سابيا [لعلها ناحية السيب في محافظة البصرة] التي شهدت آخر المعارك مع مدن حليمو وبيلوتو على حدود عيلام.. وكان الآشوريون قد درجوا على سياسة التهجير الجماعي للقبائل الآرامية التي تشكل خطرا على الولايات الآشورية وطرق التجارة عبر بلاد الشام الى جنوبي العراق حيث اختلطت هذه الأقوام مع الكلدانيين، واتخذت من المناطق الخصبة على الثغور العراقية مع بلاد عيلام موطنها لها.. ويبدو ان حصار سابيا ودحر العصيان قد حدث عام 731 ق.م. ويرجح ان رسالة القائد الاشوري كتبت عام 729 ق.م. اي خلال السنة الثالثة من تمرد مقين زري..

نلاحظ من هذه الرسالة ان ملوك آشور القدماء كانوا اول من اسس للتعدد الإثني في الحدود الشرقية للعراق.. وأن سياستهم كانت بدافع الضرورة.. غير انهم لم يأخذوا بالحسبان احتمالية عصيان القبائل الموطننة وتمرداها على السلطة المركزية او احتمال نشوء تحالفات معادية يكونوا اساسا او طرفا فيها وكان تمرد مقين زري اول تمرد في بطائح الأهوار في تاريخ العراق.. ولكن الآشوريين لم يقبلوا بغير الأمن المطلق لدولتهم مما دعاهم لى التوغل فيما وراء زاكروس وبناء حصون وقلاع فيها ثم تمكنوا من اسقاط الدولة العيلامية بصورة نهائية..

وفي تتبع حال الثغور الشرقية للعراق عبر التاريخ الإسلامي وحتى العصر الحديث لا بد من الرجوع الى مصدرين غاية في الأهمية اولهما ل دي غوية.. [هجرة العجر عبر آسيا].. وهو كتاب باللغة الفرنسية يتناول العجر في المصادر العربية واستقرارهم في العراق بين واسط والبصرة وفي عربستان وقد نشر الكتاب لأول مرة في لايدن الهولندية عام 1903.. وبحث فلاديمير مينورسكي [قبائل غربي ايران] وهما مصدران غاية في الأهمية للتعرف على الوان الفسيفساء الإثنية في شرق العراق وشرقيه.. لأهمية ذلك في تاصيل الأصول والتعرف على دوافع المشكلات التي عصفت وما برحت تعصف بالعراق بسبب هذه التكوينات المتوزعة في مناطق عديدة على الحدود الشرقية للعراق.. ولعل من الضروري ان نترجم هذين المصدرين الرئيسيين.. وهي لعلمي اول ترجمة عربية لهما، قبل التطرق الى الفتن و القلاقل والآثار السلبية التي تركها التنوع الإثني على العراق..

دي غوية: هجرة العجر عبر آسيا:

( منذ طباعة كتاب بوت [أوغستوس فريزر بوت وكتابه عن العجر في آسيا وأوربا 1844] حول العجر منذ قرابة ثلاثين سنة، بتنا ننظر وبياجماع الى اصل هذه الجماعة الفريدة من الناس على انهم جاءوا من الهند وان العجر المنتشرين في اوربا كافة يتحدرون من اصل واحد.. وقد بني هذا الاعتقاد على اساس دراسة اللغة التي يتحدث بها هؤلاء العجر.. الا ان تاريخ العجر قبل عام 1417 عندما انطلقوا من هنغاريا الى اوربا عبر الحدود الألمانية يكتنفه الغموض.. والدلائل على اماكن اقامتهم في اوقات مبكرة شحيحة ومنها ما يذكر انهم استوطنوا جزيرة قبرص والبلدان السلافية.. وما عدا ذلك مجرد تكهنات فكرلمان [هو هاينريش موريتز غوتليب كرلمان الذي كتب اطروحة عن العجر عام 1783].. حدد مغادرتهم للهند في زمن تيمور حيث افترض رينزر وهايستر ان تيمور استخدمهم كجواسيس وعيون في جيشه وأن الأتراك دفعوا بهم في اوربا للغرض نفسه.. وفي حدود علمي فإن

هذه النظرية بقيت مجرد افتراض لاتسندة البراهين ، فليس في تواريخ تيمور ما يؤيد أو يدحض هذه المزاعم..

ويرجع آخرون هجرة العجر الى الماضي السحيق.. ولا اشير هنا الى فرضية ستينور [شارلس ستينور مؤلف كتاب - "إثنوغرافيا الشعوب الأوربية" 1872]،القائلة ان العجر ربما يكونوا قد تحدروا من سكان القارة الغارقة اطلانطس..إلا أن باتيلارد [بول تيودور باتيلارد مؤلف كتاب "ظهور البوهيميين وانتشارهم في أوربا" 1844] يميل الى الاعتقاد بأن هناك صلة بين الشيكانيين او الزيجانيين، اي المستوطنون الأوائل لصقلية والعجر، غير انه لم يوضح دوافعه لهذا الإعتقاد غير التقارب بالتسميات [يطلق على العجر باللغة الفرنسية كلمة سيكان "بالكاف المنبرة]..وكبديل لهذه النظريات الإفتراضية او التكهنات.. اعتقد بأنني في موقع يؤهلني لذكر روايات ايجابية معينة اريد طرحها للنظر..فقد ذكر بوت في مقدمته لكتابه [العجر في اوربا وآسيا 1844] وكان يقتبس من الشاهنامه للفردوسي ان الملك الفارسي بهرام كور استقدم في القرن الخامس الميلادي 12.000 شخص من الهند من كلا الجنسيين من الموسيقيين [ الأرحح العازفين والعازفات والراقصين والراقصات والمغنين والمغنيات]، وكان هؤلاء يعرفون باللوري [ وهي كلمة تعني اللور او اللورستانيين الذين يؤلفون احدى القوميات الرئيسية في غربي ايران ويطلق علي الواطنين منهم في العراق (الأكراد) الفيلية] [الهالين للمترجم]، على ذلك وبما ان هذا الاسم يطلق على العجر في بلاد فارس حتى في الوقت الحاضر ولأن مؤلف الكتاب الفارسي المعروف ب [مجل التواريخ] يؤكد أن اللوريين او اللوليين في بلاد فارس في الوقت الحاضرهم احفاد الهنود ال 12.000، فليس ثمة مانع في ان افترضنا ان لدينا في هذه المصادر اول نص مدون عن هجرة للعجر..ويؤكد ذلك المؤرخ العربي حمزة الأصفهاني [كتابه "تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام"، وهو ليس عربيا كما يرى دي غوية ولكنه تلقى تعليمه في بغداد وهو من نسل فارسي]..الذي [اي حمزة الأصفهاني] كتب قبل نصف قرن من الفردوسي وكان حسن الإطلاع على تاريخ الساسانيين.ويخبرنا ان بهرم كور طلب 12.000 من القيان ممن يطلق عليهم الزط من الهند ليأتوا ليفيد بهم رعيته..والزط هي الكلمة التي يطلقها العرب على العجروالتي ماتزال تستخدم في هذا المعنى في دمشق في الوقت الحاضر..ونقرأ في القاموس العربي تعريفا للزط مفاده: "الزط كلمة معربة من الجت وهم اقوام من اصول هندية ويمكن لفظ الكلمة بفتح الزاي والواحد منهم يسمى بالزط[ي]". .. وترد كلمة الزط في القاموس المحيط بأنهم "اقوام من الهند وان الكلمة معربة من الجت" [وقد تلفظ التاء طاءا "جط" في العامية] و"هناك ثياب زطية تميزهم القطعة الواحدة منها تسمى زطي[ة]"...وهؤلاء الأقوام هم انفسهم الذين يطلق عليهم في سورية نور وأحيانا "المطربية"في اشارة الى احترافهم العزف على الوتريات والضرب بالطبول والدقوف..كما يعرفون باحتراف الرقص ايضا، ويستخدم اسم الزط تدوينيا عند تحقير شخص ما بأن يقال فلان الفلاني زطي او مباشرة "يازطي"، ويرد وصف العجر تحت طائلة مفردة النور بإسهاب أكبر وبعبارات تنطبق على ما نعرفه عن العجر إذ يصفهم بكتور [الياس بكتور القبطي مؤلف اول قاموس فرنسي عربي نشر في باريس عام 1869 وقدم له المستشرق باريسيفال] في معجمه الفرنسي العربي "انهم بوهيميون يتألفون من العرب الجواله او الجنجان [الجن كنة - تركية تطلق على العجر] يحترفون قراءة الفأل والسرقه، الخ ويطلق على ادهم في كسروان [قضاء في غربي لبنان ووسطه] النوري وجمعها نور، وفي دمشق الزطي وجمعها الزط"...وأخيرا، فإن فولرز [هو يوهان اوكوست فولرز مستشرق الماني ترجم الشاهنامه والمعلقات العربية وله معجم فارسي لاتيني نشر في بون عام 1855]، اقتبس في معجمه الفارسي من مصدر فارسي الآتي: " الجت اسم لثلاث قبائل وفدت من صحراء هندوستان". ولدينا في مكتبة لايدن [كان دي غوية مستشرفا واستادا للتاريخ الإسلامي في جامعة لايدن في هولندا ومحررا للموسوعة الإسلامية من ابرز اعماله تحقيق تاريخ الطبري وفهرسة البلدانيين العرب والمسلمين وتحقيق ديوان مسلم بن الوليد وكتاب المسالك والممالك لأبن خرداد به وغيرها كثير] كتاب [مخطوط] صغير فريد من نوعه لم ينشر بعد كتب في 1235 للجعبري عنوانه "كشف الأسرار"، يسرد فيه حرف العجر..كما يتكرر الحديث عن الزط او الجت والبلاد التي وفدوا منها لدى الأسطخري وابن حوقل..اذ يخبرنا ابن حوقل البلداناني الشهير من القرن العاشرالآتي: " بين

المنصورة [وهي مدينة شيد نواتها محمد بن القاسم الثقفي ابن اخت الحجاج كحصن عسكري تطورت على العهد العباسي وسميت على اسم الخليفة المنصور تقع على نهر السند] ومكران [منطقة تحتل الشريط الساحلي جنوبي بلاد السند وبلوچستان على ساحل بحر العرب وخليج عمان..] شكلت مياه الإندوس [نهر السند] مسطحات مائية [مستنقعات] تستوطنها قبيلة هندية تعرف بالزط.. ومن يعيش من أفرادها بالقرب من النهر يسكن في اكواخ تشبه اكواخ البربر ويعتمدون في معيشتهم على السمك وطيور الماء بينما يعيش أولئك الذين يقطنون الداخل كالبدو على الحليب والجبن ولحوم المواشي.. وهناك في المنطقة نفسها، قبائل أخرى كالبودا والمي.. ويرى ابن حوقل أن قبيلة البودا فرع من فروع الزط او بدقة اكبر أن قسم من بلاد الزط تسوده هذه القبيلة لذلك يتحدث البلاذري عن زط البودا فيقول عن هاتين القبيلتين : "الوثنيين [الكفار] الذين يوطنون حدود بلاد السند هم من البودا واقوام يطلق عليها [المعيد] ويتألف البودا [ربما اشتقت هذه التسمية من ديانة بوذا المنتشرة في الهند] من قبائل تنتشر بين حدود طوران [ آسيا الوسطى حيث تقيم قبائل التركمان]، ومكران وكذلك ملتان [مدينة على نهر السند] وارضى المنصورة وكلهم في الجانب الغربي من السند.. ويعيشون على تربية الجمال [الجمال ذات السنامين]، ونجد بعض المخطوطات تسمى البودا بالنودا وهي تسمية ياقوت [الحموي] بينما نجد في العديد من المصادر الأخرى كلمة ميد أو معيد [مي ايد] [ وهنا نجد جذورا جديدة لتفسير كلمة معيدي التي تطلق على سكان الأهوار في جنوبي العراق والأهواز].. وقد تحدرت جمال بلخ وسمرقند من هذه الجمال، ويجلب هؤلاء منتوجهم الى سوق مدينة قندبيل [قندبيل "غندافا" مدينة صغيرة في بلوچستان في السند وهي قسبة ولاية يُقال لها الندهة] وحيث يحصلون على احتياجاتهم.. وهم بدو حقيقيين يعيشون في اكواخ كالبربر ويجدون ملاذا في اراضيهم التي تكثر فيها المستنقعات حيث يعيشون على صيد السمك.. ويقيم المعيد في شواطئ [نهر] الأندوس من انحاء ملتان وحتى البحر.. وفي السهل الممتد بين حوض الأندوس والكاماهول يجدون وفرة من المراعي والمرابط في الصيف والشتاء.. وهم يشكلون جماعة كبيرة من السكان.. ويرى كاتب آخر أنهم لا يختلفون كثيرا عن الزط ويرى مؤلف "مجل التواريخ" ان البودا ينتسبون للزط فيقول: " قديما كان هناك قبيلتين فقط هما الميئيد والزط وكنيتهما تحدرتا من حام.. ويسمي العرب هذه البلاد ببلاد الزط تبعا لهذه القبيلة.. وبمرور الوقت قام الميد كما كتبها السير هنري اليوت [اداري ومؤرخ عمل في شركة الهند الشرقية البريطانية والف كتاب "تاريخ الهند بقلم مؤرخيها" وهو عمل ضخيم يقع بثمانية مجلدات] بدحر الزط وعاملوهم بقسوة اضطرتهم على مغادرة بلادهم، فاستقر الزط على ضفاف نهر بيهير حيث اصبحوا بحارة مهرة وبدعوا بشن غارات قرصنة على الميد الذين اعتمدوا في معيشتهم على الأغنام لحين عقدوا اتفاقية سلم مع الزط تبعها مرحلة ازدهار في بلاد السند واصبح للزط اراض مجاورة للميد وانتهج الميد الذين يسكنون على الساحل القرصنة وباتوا يعرفون بالكورك او الكرك [ومنهم الكورخة الذين جندهم الأنكليز في العدوان على العراق وفي حرب الترك خلال الحرب العالمية الثانية]، فشرعوا بالقيام برحلات فاخترقوا البحر الأحمر وقاموا خلال حكم الخليفة العباسي المنصور بالاستيلاء على ميناء جدة عام 768، وكان منظر سفنهم [البيرة والبوارج] كما يذكر عدد من المؤرخين العرب تثير الرعب بحيث اطلق اسم السفن على القراصنة انفسهم.. [حدثنا البلاذري أن قراصنة " من ميد الديبل أخذوا سفينة اسلامية كانت تحمل نسوة مسلمات ولدن في بلاد الحجاج ومات أباهن. وكانت هذه السفينة الاسلامية تحمل تجاراً في طريقهم الى جزيرة الياقوت [سيلان] حيث كان الحجاج والياً عليها ، فخرجت حملة بحرية من عُمان، التي كانت ترابط فيها السفن الاسلامية للدفاع عن سواحل عمان من هجمات القراصنة المتكررة منذ عصر الخليفة عمر بن الخطاب، ولحقت بالقراصنة الى الديبل وقتلتهم في أوكارهم البرية"... وتجدر الإشارة، والكلام ل دي غوية، الى ان العجر يطلقون حتى في الوقت الحاضر كلمة "بيرة" (أو بارجة) على السفينة.. ويطلق على جماعات الزط الذين يعيشون في الشمال القيقان [ وفي البلاذري ان " القيقان من بلاد السند مما يلي خراسان" ]، ويشتهرون بحياسة الخيول والأهتام بها.. ومن الغريب ان جغرافيينا لم يتطرقوا الى الجاموس الذي شكل في ذلك العصر كما في وقتنا هذا بل ومنذ ازمة بعيدة جزءا مهما من قطعان ومواشي هذه الأقوام أن لم يكن الجزء الأهم.. فهذه الأقوام التي اعتادت حياة التجوال من ازمة بعيدة



في الهند كانوا كما هو حالهم في الوقت الحاضر بحاجة الى مساحات واسعة من الأرض.. ومع تزايد اعدادهم واعداد مواشيهم عمدوا الى ارسال جماعات كما هو الحال بين جماعات مماتلة، الى الأراضي المجاورة التي يعاني سكانها من حكومات جائرة بهدف غزوها وبذلك يوسعون من رقعة اراضيهم.. ولكن عندما يجد هؤلاء انفسهم في مواجهة دولة قوية لا يقدرّون على مواجهتها، فإنهم يجندوا انفسهم في خدمة هذه الدولة ورعاياها.. وقد تكرر ذلك في ذروة قوة الساسانيين وإذا استثنينا رواية القيان الـ 12.000 الذين وفدوا بلاد فارس في عهد بهرام جور، لا يوجد لدينا معلومات أخرى عن حالات مماتلة.. غير اننا نجد خلال الحروب العربية الفارسية في القرن السابع [للميلاد] اعدادا كبيرة من هذه القبائل تم تجنيدها في صفوف الجيش الفارسي لمحاربة العرب.. ولكنهم عندما رأوا ان حظوظ الشاه [بالانتصار على العرب] بدأت تتأرجح، انقلبوا الى جانب العرب واعتنقوا الإسلام شريطة ان ينخرطوا في مراتب الجيش ويتلقوا معاشا من الدولة [ويذكر دي غوية البلاذري والمبرد وابن الأثير مصادرا له في هذه المعلومات].. واتصلوا ببني تميم الذين يقيم الكثير منهم في البصرة.. ونعرف من حروب الردة على عهد ابي بكر (رض) ان جماعة من الزط استوطنوا البحرين في الخط [تسمية قديمة للبحرين المدينة ربما تقابلها مدينة الحد الصغيرة على البحر] وهي مدينة على ساحل البحرين.. ولم يكن الهنود الذين جلبوا الى غربي آسيا يتألفون من الجنود فحسب بل كانوا يتألفون من اسر بأكملها نقلوا معهم قطعانهم وممتلكاتهم الى ضفتي الفرات وكان الهدف المزدوج من نقلهم على الأغلب توطيئهم في احراش الأهوار وللحماية من البدو العرب [من القطيف وبر الأهواز].. على ذلك نقرأ عند البلاذري انه في الوقت الذي تم توطيئ قبيلة هندية أخرى تدعى السبابجة [السبابجة او السبابجة] قبل اسلمة اقوام الساحل، كانت ماشية الزط ترعى في الطفوف في أداني دجلة والفرات وفي نواحي بابل.. وهناك قناة قديمة في البطحة [أهوار الفرات بالقرب من بابل] تعرف ولوقت طويل بأسم نهر الزط [ويورد دي غوية ياقوت الحموي مصدرا له لهذه المعلومة]، فضلا عن ذلك فقد كان هناك مستعمرة للزط اقيمت في خوزستان [عربستان] وتصدق رواية الدمشقي وهو بلداني متأخر بعض الشيء ان هؤلاء الزط جاءوا الى هناك [جنوبي العراق] في زمن الحجاج في مطلع القرن الثامن.. ولكن، من جانب آخر، يصف البلاذري الزط في معرض كلامه عن حومة الزط او حياض الزط "اراضي الزط" على انها من بين المناطق التي تم فتحها في خلافة عمر (رض) وأن هذه الأرض الواقعة بين رامهرمز وأرجان في نواحي فارسستان [بلاد فارس] حافظت على هذه التسمية [حومة الزط] لأمد طويل حتى بعد اختفاء سكانها الأصليين.. [تحت طائلة أسماء أخرى] فلم يعرفوا فيما بعد بالزط.. ويحدثنا الأصبخري وابن حوقل عن تلك المنطقة بأنها واسعة ومأهولة وغنية.. وليس معروفا ما حل بهذه المستوطنات العديدة بعد الغزوات العربية [الفتح الإسلامي]، فالعديد صاروا عربا، وفي الأزمنة المتأخرة بمقدورنا ان نجد أحفادا للزط ممن ارتقى الى مناصب عليا كالسري بن الحكم [السري بن الحكم بن يوسف الزطي]، وقد دخل مصر مع الجند الخراسانيين المرافقين لليث بن الفضل عامل الرشيد عام 182هـ، وحين نشبت الفتنة بين الامين والمأمون تزعم الزطي الجند الخراسانية ودعا للمأمون بعد استيلائه على الدلتا وصعيد مصر، وبعد موت السري خلفه ابنه ابو نصر محمد الذي مات عام 206هـ وابعقه اخوه عبيدالله بن السري فاستولى على مصر كلها] الذي اصبح حاكما على مصر عام 815 م، ويخبرنا البلاذري ان الخليفة معاوية جلب عام 660م او 670 م عددا من عوائل الزط والسبابجة [سيابية او سيابجة] من البصرة الى انطاكية على نهر العاصي وعدد من المدن الساحلية في سورية.. بل وحتى في القرن الثالث للهجرة نجد حيا من احياء انطاكية يعرف بمحلة الزط ومازال احفاد هؤلاء الزط يسكنون في وادي بيكا بالقرب من انطاكية.. وهنا نتعرف على اقرب مستوطنة للزط على حدود الدولة البيزنطية.. ويبدو ان أحفاق المحاولات العربية الأولى للسيطرة على بلاد السند كان بسبب مقاومة الميد والقيقان كما يطلق على الأصقاع الشمالية للزط، غير أن هذه القبائل سرعان ما أدركت قوة اعدائهم الجدد.. وهكذا، فعندما شن المسلمون تحت حكم الوليد اولى حملاتهم الضخمة ضد الهند، وجدوا بالزط والميد حلفاء وليس خصوما لهم.. ولم يكن الجيش الي ارسله حاكم العراق الحجاج الى وادي الأندوز [بلاد السند] بقيادة ابن اخته محمد بن القاسم كبيرا ولكنه كبر بالتدريج نتيجة انخراط العديد من الزط في صفوفه، ولكنهم [اي الزط]، على اية حال، لم يكونوا اهلا للثقة.. مما

حدى بالمسلمين الى اتخاذ قرار بضرورة تهجير العديد منهم.. وكان ذلك التهجير ضروريا فلدجلة كما للفرات امتداداته في المستنقعات [اهوار الجنوب] وبخاصة في كسكر [أقليم يمتد من البصرة الى واسط وتعد واسط قصبته ابان السيادة العربية] وهي اراض غاية في الثراء على حدود خوزستان [عربستان].. ولزراعة هذه الأراضي لايمكن ايجاد سكان اكثر ملائمة من هؤلاء الزط عينهم فهم ترعرعوا في قلب المستنقعات في حوض الأندوس [تماثل دلتا نهر السند منطقة الأهوار في جنوبي العراق] بينما لايمكن لقطعان الجاموس التي تشكل ماشيتهم الرئيسية ان تزدهر في منطقة ازدهارها في أهوار العراق.. ويخبرنا البلاذري ان عوائل اخرى من السند بالإضافة الى الزط نقلوا ومعهم نسايتهم واطفالهم وجواميسهم ولكن اكثرهم من الزط لأن المستوطنة كلها سميت بأسمهم.. ولا بد ان تكون هذه الحادثة [تهجير الزط الى العراق] قد جرت عام 710 م، لأننا نقرأ ان الوليد الذي توفي عام 714 هو من امر بنقل هؤلاء الزط وجواميسهم الى انطاكية وماسيسا [المصيصة].. وتعتينا معلومات اخرى صورة عن جسامة التهجير اذ يخبرنا أبو نعمان الأنطاكي: "أن الطريق بين انطاكية والمصيصة لم يكن آمنا بسبب الضواري المفترسة وفي أكثر من مرة تعرض مسافر الى هجوم من قبل أسد [يبدو ان مصدر هذه الأسود جزيرة العرب قبل ان تتعرض للتصحّر، كما نجد في شعر المتنبي قصائد في وصف السود في هذه المنطقة كقصيدته في مدح ابو داود الأنطاكي مما يدل على استمرار وجود السود حتى العصر الحمداني في تلك المنطقة].. وعندما اشتكى الناس من هذه الحالة الى الوليد بن عبد الملك، ارسل الى هناك 4000 جاموسة من ذكورها واناثها.. وبواسطة هذه القطعان، خلصنا الله من هذه الآفة " ويعرف الجميع ان للجاموس شجاعة في التصدي للأسد وكان محمد بن القاسم الثقفي والي الحجاج على بلاد السند ارسل من هناك بضعة آلاف من الجاموس فأرسل الحجاج 4000 منها الى سورية الى الوليد بينما ترك الباقي في أهوار كسكر.. وعندما مات الوليد بن المهلب عام 720، صودرت اموال المهلبيين، وكان من بين ممتلكاتهم 4000 جاموسة في كسكر وفي اداني دجلة.. فقام يزيد الثاني [يزيد بن عبد الملك بن مروان ويلقب يزيد الثاني ولد سنة 71 هـ. ولي الخلافة بدمشق بعد عمر بن عبد العزيز سنة 101 هـ]، بإرسال هذه الجواميس ومعهم الزط بأسرهم [عوانلهم] من كسكر الى المصيصة [ثغر من الثغور الشامية يقع في قفيا بالقرب من أدنة].. مما يجعل عدد الجواميس المنقولة الى انطاكية والمصيصة 8000 جاموسة ومعها ذكورها.. وفي اثناء الأزمنا المضطربة في اثناء حكم مروان الثاني، آخر الخلفاء الأمويين [في المشرق الإسلامي]، قام سكان انطاكية وقنسرين بأستملاك عددا من هذه الجواميس.. ولكن عندما تولى الخليفة الثاني في الخلافة العباسية الحكم أمرهم بإرجاع الجواميس التي اخذوها الى المصيصة.. على هذا فإن الجواميس الموجودة اليوم في انطاكية ونواحيها قد تحدرت من الجواميس التي كان الزط قد جلبوها معهم عندما هجرهم معاوية ومن بعده الوليد الأول الى الشام.. لذا فبينما تأسست اول مستوطنة للزط في شمالي سورية في عصر معاوية تأسست مستوطنة لهم ثانية في عصر الوليد الأول واتبعت بمستوطنة ثالثة على عهد يزيد الثاني.. وبما أن المستوطنة الرئيسية بقيت في كسكر [جنوبي العراق]، فلنا ان نستنتج بأن اعداد الزط الذين نقلهم محمد بن القاسم الى هنا [العراق ومنها بلاد الشام] كانت كبيرة.. ولانسمع مجددا عن هؤلاء [الزط] إلا عام 820، فقد تكاثر هؤلاء الزط تكاثرا عظيما في بطائح كسكر، واستفادوا من الفوضى التي انتشرت في العراق بسبب النزاع بين ابني هارون الرشيد الأمين والمأمون فصارت لهم اليد الطولى في اداني دجلة وقويت شوكتهم بواسطة لجوء الأقتان الهاريين والعصاة المتمردين [والزنج] الى مناطقهم فسيطروا على الطرق البحرية والبرية وبدعوا بالسطو على السفن والإغارة على القوافل ونهب مخازن الحبوب في كسكر بينما كان اعظم شيء يجرأون عليه كما يخبرنا البلاذري هو استجداء الصدقات من المسافرين او سرقة مايقدرون على سرقة خفية من السفن العابرة.. ولكن الأمور الآن في عام 820 وصلت حدا لايجرأ معه الناس على المرور بأراضيهم.. والسفن المتجهة من البصرة الى بغداد رست معطلة لاتقدر على المغادرة الى العاصمة.. وكان مصير الحملات التي ارسلها الخليفة المأمون في 820 و 821 كلها الإخفاق مما تسبب في الحاق ضرر كبيرا بسمعة الخليفة فعندما عرض قائد المأمون عبد الله بن طاهر على نصر بن شيبث العقيلي [وهو قائد عربي اعلن استقلاله في سورية في اثناء الفلاقل بسبب نزاع الأمين والمأمون عام 824 وثار على المأمون في الشام بسبب تعصبه

للعرب ولتواجد الفرس في البلاط العباسي في بغداد] الأمان، عرض شروطا لم ترق للقائد العباسي فرد بقوله: " هل سأرضى بهذا؟ كيف لهذا الرجل (المأمون) ان يتخيل انه يقدر على غلبة زهرة العرب بينما لا يقدر على اخضاع بضعة من اربعمائة ضفدع ممن تمردت تحت جناحه؟" ..وفي نص الطبري "ويلى عليه وهو لم يقوى على اربعمائة ضفدع تحت جناحه يقوى على حلبة العرب" ويقصد نصر بن شيبث في سخريته اللاذعة هذه ضد المأمون الزط في احوار العراق الذين شبههم بالضفادع وأن المأمون عجز في التغلب عليهم وإخماد فتيل عصيانهم.. ويعني بذلك، والكلام لدي غوية، الزط كما اشار المؤرخ (الطبري)، ولكن عددهم كان يتجاوز كثيرا اربعمائة رجل..وقد استمرت هذه الأوضاع على الحال نفسها حتى عام 834 عندما قرر المعتصم الذي اعقب المأمون في الخلافة معالجة العصيان بحزم كما كان الظرف ملانما لأنقطاع التجهيزات من البصرة الى بغداد مما الحق ضررا كبيرا بسمعة الخليفة..ويتجلى كل ذلك بوضوح من قصيدة هجاء نظمها [شاعر] زطي ويذكرها الطبري] القصيدة زانية طويلة بعض الشيء ومقطعها "يا أهل بغداد موتوا دام غيظكم ... شوقا إلى تمر برني وشهريز"، لم يذكر الطبري اسم الشاعر ولا سبيل لمعرفة بدون مراجعة اشعار الكدية كلها والشعر المتصل بالكدية في العصر العباسي، مع ذلك يتناول دي غوية بعضا من مضامينها]..نرى من هذه القصيدة انهم [الزط] يعرفون التفاصيل كلها عن العصيان الحاصل في السند، ويعلمون ان العرب يواجهون عدوا خطرا في جبال ارمينيا هو بابك الفارسي..وبعد افصاحهم عن التعاطف مع [التشفي من] اهل بغداد لأنهم حرموا من التمر الذي يفظلونه [البرني والشهريز ربما "البرحي والأشرسى" الذي يورد الى بغداد والمدن العراقية الأخرى من البصرة ونواحيها، وفي هذا البيت اشارة الى سيطرة الزط على هذه المناطق وقطعهم هذين النوعين من التمر عن اهل بغداد]، يشيرون الى قادتهم وثيابهم الفاخرة من المماليك الترك المعتوقين، ثم يذهب الشاعر الى ان الزط سيخرجون ويعذبون البغداديين الذين يزحفون عليهم فلا يقدرون عليهم لأنهم كالكائنات البرمانية، وكيف سيضربون اهل بغداد ضربة يفرح لها ملك التيز"عاصمة مكران في بلاد السند" وتضحك "رب السرير" اي تفرح بابك الفارسي...ثم نرى فيما بعد ان المعتصم عمد بعد اخماد عصيانهم الى ارسال أحد قاداته لأنهاء عصيان مماثل قام به اقربائهم في بلاد السند.. على ذلك يجب عدم إضاعة الوقت في اخضاع هؤلاء الزط في كسكر فأرسل اليهم عجيف بن عنبسة على رأس قوة كبيرة وأقيمت بين جيشه وبغداد سلسلة من نقاط البريد بحيث يتم ايصال المعلومات الى الخليفة في كل يوم لكي يتمكن من ارفاد كل ما يحتاج اليه قائده في حربه مع الزط..ولكن الحرب على ابناء البطانح هؤلاء لم تكن بالأمر اليسير..وفي احدى المواجهات ارغمهم القائد العباسي على خوض معركة تمخضت عن قتل 300 زطي وأسر 500 وقتلهم فيما بعد..وما عدا ذلك حصلت بضع مناوشات فحسب وكانت القوات العباسية الطرف المتأذي فيها [ كما في كل الحروب ينجح العصاة في الكمان لمعرفتهم بطوبوغرافيا مناطقهم]، وعلى الرغم من ان عجيف بذل قصارى مساعية في ردم بعض القنوات التي تصب في الأهوار و تتفرع منها [هنا لدينا نموذج تاريخي لمحاولة تغيير الطوبوغرافيا في منطقة الأهوار للسيطرة على تحركات العدو..وهي ليست الأولى، إذ حاول الآشوريون في الأزمنة الغابرة ازالة الغطاء النباتي الكثيف الذي يوظفه العدو في مثل هذه المناطق لنصب الكمان لتفادي القوة الآشورية]، ولكن تقدمه في هذا السبيل كان من البطء بحيث لم يتمكن من إخضاع العدو إلا بعد تسعة أشهر.. ويخبرنا بار هيبيرا يوس [أبو الفرج هارون بن توما الملطي المعروف بابن العبري مؤلف كتاب "مختصر الدول"، في النص السرياتي لكتابه ص 153]، "ولكي يتم للقائد العباسي اخضاع الزط عمد الى استخدام سجناء مصريين اعتادوا على الحياة في بيئة المستنقعات".."كانت دلنا النيل على العهد العباسي تتماثل في جوانب كثيرة مع منطقة احوار العراق]، وفي أواخر عام 834 م. اعلن الزط استسلامهم شريطة عدم المساس بارواحهم أو مصادرة ممتلكاتهم ..ومع استسلامهم عمت الأفراح ببغداد وأمر الخليفة بمنح كل جندي في جيش عجيف مكافأة على مرتبه مقدارها دينارين.. وقرر جلب الزط بأكملهم من الأهوار واستعراضهم امام الناس في بغداد ..وظهر ان عددهم يربو على 27.000 ويبلغ عدد القادرين منهم على حمل السلاح 12.000 رجل فيما ذكر ابو المحاسن ابن تغري بردي..وبينما مخرت زوارق الزط بثيابهم المميزة لهم وهم ينفخون بأبواقهم نهر دجلة في بغداد خرج سكان بغداد بأكملهم ووقفوا على شطنان

دجلة وشارك الخليفة بنفسه في الإحتفالات من يخته [زورقه]، وتكرر استعراض التطواف بالزط في دجلة ثلاثة ايام.. ثم سلم الزط لبشر بن السميدع [قائد عباسي] الذي قام بنقلهم في البداية الى خانقين [التي تبعد 30 فرسخا "مايعادل 112 ميلا انكليزيا" شمال شرقي بغداد.. ثم نقلهم من هناك الى عين زربة [أنا زربا- وهي من الثغور الشامية القريبة من المصيصة].. [وفي الكامل لأبن الأثير نقراً الاتي "ثم دخلت سنة عشرين ومائتين 220 [هجرية] وفي هذه السنة دخل عجيف بالزط بغداد ، بعد أن ضيق عليهم ، وقتلهم ، وطلبوا منه الأمان ، فأمنهم ، فخرجوا إليه في ذي الحجة سنة تسع عشرة ومائتين ، وكانت عدتهم مع النساء والصبيان سبعة وعشرين ألفا ، والمقاتلة منهم اثنا عشر ألفا ، فلما خرجوا إليه جعلهم في السفن، وعبأهم في سفنهم على هينتهم في الحرب ومعهم البوقات ، حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء من هذه السنة وخرج المعتصم إلى الشامسية في سفينة يقال لها الزو ، حتى يمر به الزط على تعبنتهم وهم ينفخون في البوقات، وأعطى عجيف أصحابه كل رجل دينارين دينارين، وأقام الزط في سفنهم ثلاثة أيام، ثم نقلوا إلى الجانب الشرقي ، وسلموا إلى بشر بن السميدع ، فذهب بهم إلى خانقين ، ثم نقلوا إلى الثغر، إلى عين زربة، فأغارت الروم عليهم فاجتاحوهم، فلم يفلت منهم أحد"]، على الحدود الشمالية لسورية كما يروي الطبري.. ويخبرنا البلاذري ان الجزء الأكبر من الزط اخذ الى عين زربة وان قسما منهم بقي في خانقين وان عدد آخر منهم وزع على أماكن أخرى في الحدود السورية [ وقال البلاذري في روايته: " وقد كان المعتصم بالله نقل إلى زربة ونواحيا بشرأ من الزط الذين كانوا قد غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة فاتنفع أهلها بهم." ]، وليس بمقدورنا ان نحدد على وجه اليقين اوضاع الزط [حالتهم ومكانتهم] عندما وصلوا عين زربا، او الأماكن الأخرى التي توجهوا إليها، مع ذلك فمن الواضح انهم لم يستقبلوا كمواطنين احرار لأن الواقدي والبلاذري يضيفان هذه الملاحظة على روايتيهما حول تهجير الزط الى عين زربا: "وحصل الناس على فوائد كثيرة من خدماتهم" .. ولكن تلك الحال لم تدم طويلا. فكما يخبرنا الطبري ومن بعده ابن لأثير: قام الروم البيزنطيين بالإغارة على عين زربة ونجحوا في بسط سيطرتهم على الزط المنفيين في تلك المدينة بأكملهم وحملوهم معهم الى بلدهم ومعهم نساءهم وأطفالهم وجواميسهم وأبقارهم.. وقد اضاف ابن الشحنة [الحلي] على رواية الطبري والحموي واليعقوبي وابن الأثير قوله "أن الزط هم قوم هنود" .. هنا يكون لدينا اولى الجماعات العجربة قد جلبت الى الأمبراطورية اليونانية.. ولا اعرف فيما اذا كانت اعداد هؤلاء قد ازدادات لاحقا من جراء وصول جماعات جديدة من سورية حيث بقي العديد من الزط الذين هجروا إليها في اوقات سابقة.. على الرغم من ان هذا امرا ممكنا كما يبدو من كتاب الجعبري الذي اشرنا اليه الذي اشار الى قيام حواة وبهلوانية وطبالين وقرداتيين واضرابهم بزيارة آسيا الصغرى وانهم قدموا إليها من سورية.. كما لاسبيل لي للتأكد فيما اذا تم اي تهجير للزط من الهند بعد سنة 710.. ولكن هذا غير مرجح، لأن التواريخ لم تأت على ذكر مثل هذه الحادثة وكذلك لأن الزط [بتسميتهم في سورية] استمروا في سورية وحدها مرادفا [إثنيا] للغجر..

وعندما تم سحق عصيان الزط في كسكر، هاجمت السند قوة عظيمة بقيادة عمران بن موسى بن يحيى البرمكي الحاكم العباسي على بلاد السند الذي اخضع الزط والميد بسرعة، وكانت النتيجة وخيمة على الزط، فمن لم يتمكن منهم من الهرب ختم على ايديهم وفرض عليهم الجزية، وأمرهم بأن يكون مع كل واحد منهم كلب يسحبه حتى يعرفهم الناس ويتجنبوا شرهم مما سعد سعر الكلاب الى خمسين درهم للكلب الواحد، أما الميد فبعد تكبدهم خسائر فادحة، انسحبوا الى المستنقعات حيث لجأ اليهم قادة الزط مما دعى القائد العربي [العباسي] الى حفر قناة تتصل بلمستنقعات من البحر مما جعل مياه المستنقعات مالحة لاتصلح للشرب غير ان الخلافات بين القيادات العربية جنبت الميد من الغزو وهذا شأن الحكام العرب في مناسبات سابقة عديدة إذ يؤدي الاختلاف فيما بينهم الى التوقف عن مواصلة مابدأوا به قبل الختام ودون التمام.. وسرعان ما رجع الزط والميد الى حياتهم المعتادة وعندما زار المسعودي السند عام 915 وصفهم بأنهم بلاء على اهل المنصورة وكذلك وصفهم الأصطخري وابن حوقل

ثم يتطرق دي غوية الى الزط في العصور الوسطى بعد حديثه عنهم على عهد صلاح الدين الأيوبي وتيمورلنك ومحمود الغزنوي.. ويستعرض اختلاف تسمياتهم واسباب ذلك.. فورودهم بأمثال كأمثال الميداني في المثل " لا تعلم الشرطي التفحص، ولا الزطي التلصص"، ويختتم كتابه بملاحظات عن خصائص العجر.. كاستخدامهم للمشاعل لأشعال النار في مساكن وقوارب خصومهم واحتراف بعضهم لصنع الأسلحة النارية ومعرفتهم في بناء الحصون والمتاريس وتربية الصقور واليزدرة واستخدامهم للعربات التي تجرها الثيران لحمل احتياجاتهم المنزلية واهتمامهم بتربية الجاموس وجني البردي واحترافهم الرقص والغناء والعزف على الآلات الموسيقية البدائية واصدار الأصوات بقرع الأصابع، وقراءة النساء العجريات للقال بطريق قراءة الكف او الفنجان او بالودع والأصداف وعيدان الأشجار وبتفسير الإحلام وكل مايتعلق بالسحر والتكهن.. ويقومون بممارسة الكدية وبخاصة العجر الذين يعرفون بالجنكنة في تركية واللورية في ايران والقرج في شمالي العراق والنور في بلاد الشام والزط في دمشق وغير ذلك في اماكن اخرى فضلا عن كونهم امة من اللصوص والسراق.. ومنهم من يتعاطى المخدرات ويتاجر فيها وهنا تبرز علاقة بين فرقة الخناقين التي تزعمها ابو منصور العجلي والخناقين [الثكن] الذين عرفوا في الهند والباكستان.. ومنهم من يصطحب القرده والديبة او الثعابين والسناجب لأستعراضهم على الناس.. ومنهم من يبيع الأعشاب الطبية والعطوريات والكحل فتجتمع حولهن شابات القرى لشراء التمانم التي تعيد الغائبين عنهن وغير ذلك كما يعرف العجر بمعرفتهن بالتوشيم المنتشر في العالم الغربي في الوقت الحاضر.. وغالبا مايخيم العجر بجوار المدن.. ومنهم من يحول مخيمه الى منطقة لممارسة البغاء.. وعموما فالرجال بين العجر اقل عملا من النساء العجريات اللاتي يبذلن الجهد في الحصول على المال وبأي طريق بينما يرتاح الرجل في الخيمة او يخلد الى النوم ..

ويتصف الرجال بكونهم سمر البشرة متوسطي القوام بينما نشاهد للنساء بشرة اكشف من الرجال وهن على حظ من الجمال ولكن ملابسهن الوسخة وعاداتهن الكريهة تذهب بما لديهن من جمال.. وتلحق العجر سمعة سرقة الأطفال وزيارة القبور للأستفادة من عظام الموتى في اعمال السحر التي يمتنها. [وهي عادة تمارسها الساحرات في مقبرتي النجف المعروفة بدار السلام ومقبرة مشهد وهما اكبر مقبرتين في العالم].

وفي ختام ترجمتنا ل دي غوية، لابد من الإشارة الى علاقة العجر من الزط الذين هجروا من حوض نهر السند الى احوار العراق.. ففي الوقت الذي لا افترض فيه ان هناك علاقة مباشرة بين الماضي والحاضر وبين بطائح السند وبتائح العراق، لابد من ذكر تلك الهجرة لأن من غير المعقول ان يكون هؤلاء الزط قد غادروا العراق كلهم.. ولكونهم آريين أصلا وفي منطقة مجاورة لبلاد الفرس، فإنهم او بالأحرى اسلافهم كانوا لعبوا دورا كبيرا في الحركات الانقلابية والفتن التي عصفت بالدول المتعاقبة كما سنرى لاحقا.. وفيما يأتي نتحرك شمالا لأستعراض الأقليات الأخرى على الحدود الشرقية للعراق فنطلع على جذورها التاريخية والإثنية، وهنا نستعين بكاتب آخر متخصص بالإقليات الإثنية هو فلاديمير مينورسكي فنترجم مقالته المهمة [قبائل غربي إيران] وهي دراسة منشورة بمجلة المعهد الأنثروبولوجي الملكي لبريطانيا العظمى وايرلندا المجلد 75، العدد 1-2 عام 1945.. وفيما يأتي ترجمة لها بتمامها:

(في النظر الى خارطة ايران نرى واحدا من الملامح الملفتة للانتباه ويتمثل بسلسلتي الجبال اللتان تتصلان أحدهما بالأخرى في شمال-غربي ايران.. وتجتاز الأولى الجزء الشمالي من البلاد افقيا بين افغانستان وتركيا وتبلغ اعلى نقطة [قمة] لها في جبل أرارات، وتبدأ السلسلة الثانية مباشرة أسفل جبل ارارات وتتجه الى الجنوب الشرقي مشكلة الحدود الغربية لايران.. وليس لها اسم عام يطلق عليها في الوقت الحاضر ولكن في العهود القديمة كان يطلق على وسطها اسم "زاكروس" ومازال هذا الاسم يطلق، بحكم التقاليد، على السلسلة بأكملها.. ويشكل هذا الأمتداد الجبلي الطولاني مهاد حكايتي الآتية:

## الفترة السابقة على الوجود الأيراني:

لم تعرف اراضي ايران في البداية بهذا الأسم، ففي حوالي عام 1000 ق.م. بدأ الأيرانيون الهنود اوربيين ممن يتحدثون بلغة تنتسب الى الأسرة اللسانية نفسها التي تنتسب اليها لغة الهنود القدماء واليونانية واللاتينية ولغات أخرى بالتسلل الى هذا البلد، وبعد انتشار وجودهم فيه، اطلق عليه اسمهم..ولانقدر ان نقطع من اين جاء اولاد عمومنا الأيرانيين او مدى الفترة التي استغرقتها احتلالهم [استيطانهم] هذه البيئة..ونعرف فقط انه بين عامي 844 ق.م. و 836 ق.م. بدأت حوليات المملكة [الأمبراطورية] الآشورية ولأول مرة تشير الى وجود الميديين [مادا] والفرس [بارسوا] في مكان ما جنوبي بحيرة اورميا..أما من هم السكان الذين ازبحوا بسبب الغزو الأيراني؟ [هذا مانجهله] وليس لدينا اية مؤشرات مدونة محددة على القسم الشرقي من ايران..ولكننا نعلم بوجود مملكتين عظيمتين الى الغرب من ايران أثبتتا استقلالهما لأمد بعيد أزاء جارتها الشهيرة بلاد الرافدين..في الشمال مملكة فان "اورارتو أو خالدي" [أسلاف الأرمن] الممتدة بين البحيرات العظمى الثلاث فان "في تركيا الحالية" و أورميا "في ايران" وسيفان "في ارمينيا السوفيتية"، وفي أقصى الجنوب مملكة عيلام وعاصمتها سوسة "التي ذكرت في الكتاب المقدس أيسثير بأسم (شوشان)..وكانت تسيطر على أراض واسعة الى الشمال الغربي للخليج العربي..وكان لكل من المملكتين "فان وعيلام" لغتها الخاصة..وهما لغتان تختلفان عن لغات بلاد الرافدين..ولكنهما تعتمدان على الكتابة المسمارية التي اخترعها سكان بلاد ما بين النهرين مما مكنا من التعرف على الهيئة الصوتية للسانين [الأورارتي والعيلامي]، وبالتدريج التعرف على معاني مدوناتهما التي يرد بعضها بأكثر من لغتين متجاورتين..وبالإضافة الى هاتين المملكتين، ظهر العديد من الإمارات في القسم المركزي لزاكروس ومنها ماامتد لبضعة وديان معزولة، ولانعرف عن هذه الإمارات سوى القليل بعد اسمائها..وهي اسماء غريبة لاتماثل اي شيء آخر. وغالبا ما تكون الجبال المطلة على اراض واطئة ملاذا لبقايا السكان الذين يجلون عن السهول..وهذا ينطبق على اعالي نهر الأندوس [نهر السند] وكذلك على القفقاس..ويوفر مفتاحا للتعرف على أصول قبائل زاكروس المتبدين في ضبايات الأزمنة الغابرة لما قبل التاريخ، ومن بين هذه الأقوام الأقل شأنًا، لابد من ذكر الكاشيين "الكشو" [وهم اقوام يعرفهم الدكتور طه باقر على انهم وفدو من قزوين بدلالة اسمهم] ومكانهم في الجزء الشمالي الشرقي لما يعرف ب(لورستان) في الوقت الراهن..وقد انحدر الكشو [الكاشيون] من تلالهم وحكموا [غزوا] بابل فصار لدينا قائمة بكلمات كاشية..ويبدو ان لغتهم تفتقر الى اسماء وصل ولكن، ولدهشة المحللين، ظهر ان مفردات لغتهم هندية- اوربية اي ليست هندواوربية ايرانية بل هندو اوربية هندية على سبيل المثال كلمة"سورياش"..ولا بد ان تسلمات [بشرية] مبكرة قد حدثت فيما تقودنا استدلالنا، ولكن كما يطلق البابليون على الخيل تسمية " حمير التلال الشرقية" نفترض ان هؤلاء الهنود اوربيين الأوائل كانوا مروضي خيل ولعلمهم كانوا اسيدا [يتمتعون بالسيادة]، تماما كما في [أمم] شمالي بلاد الرافدين [ الآشوريين] وكذلك في المملكة الحيثية في آسيا الصغرى..وقد تم اكتشاف لقي برونزية قبل عام 1930 في شمالي لورستان تتضمن مهاميز ومكابح مما يدل على مراحل متقدمة من تدجين الخيل وتدريبها في هذه المنطقة..وقد اشرنا لأول مرة الى صلة هذه المكتشفات بالكاشيين او الى الهنود اوربيين الذين عاشوا في معيتهم..

## أيران القديمة: الميديين والفرس:

عندما وصل الأيرانيون حوالي 1000 ق.م. موطنهم الحالي، لابد ان يكونوا قد وصلوا على شكل جماعات متعاقبة تجد طريقها بمشقة صوب الجنوب..وكانوا يتوزعون في قبيلتين هما الميديون والفرس..وكانت السيطرة في البداية للميديين للفترة (700 ق.م. 559 ق.م.)، فبعد تغلبهم [بتحالف مع البابليين والسكيثيين وغيرهم] على نينوى، بدأوا في شن غارات على قلب آسيا الصغرى [تركيا].

اما الفرس فتوغلوا جنوبا الى حيث كانت أراضي المملكة العيلامية، وتمكنوا من نضو تبعيتهم للميديين، وعندما ملكهم قورش تأسست امبراطورية فارسية كبرى في ايران (559 ق.م. 331 ق.م) ضمت اراض واسعة وشعوب كبيرة.. ويمثل النحت البارز في بيرسيبوليس [قصر او بوابة الأمم] الأعراق المتنوعة ممن ضمتهم الامبراطورية الفارسية، وقد اهلقت القبائل صغيرة الحجم في هذه المنحوتة المصورة، [بينما ضمت منحوتات آشورية مماثلة الأمم كلها صغيرتها وكبيرتها وبوابة الأمم الفارسية محاكاة للفن الآشوري تماما]، ثم اكتسبت مفردتا (بارسا ومادا) "الفرس والميديين" معنى آخر فأصبحتا تشيران الى رقع الأراضي التي احتلتها هذه الأقوام وليس الأقوام بصفتها جماعات إثنية حصريا.

الممالك الإيرانية الوسطى: الفرثيين والساسانيين:

ثم اعقت ذلك فترة طويلة شغلتها المملكتان الأيرانيتان الوسطتان اللتان استمرتتا بضعة 900 سنة من 250 ق.م. وحتى منتصف القرن السابع للميلاد. ولكن معلوماتنا حول التغيرات التي حصلت على تكوين السكان، لسوء الحظ، هي ما برحت ناقصة.. فقد انتقلت المراكز الإدارية صوب بلاد الرافدين الى سلوقية [عاصمة هلنستية على نهر دجلة تقع مقابل طاق المدائن بناها سولوقوس أحد قادة الإسكندر المقدوني عام 312 ق.م. وتعرف آثارها في الوقت الحاضر بتل عمر]، والمدائن [قطيسفون] على نهر دجلة، فترتب على ضرورة حفاظ الملوك الأيرانيين على الاتصال بمواطنهم، الذي بات بعيدا عنهم، اختراق منطقة زاكروس مما أدى الى تزايد الوجود الأيراني هناك.. مع ذلك فالعديد من الأسماء في غربي ايران كالتي اوردها بطليموس ليست ايرانية..

المرحلة الإسلامية:

[يضع مينورسكي هذه المرحلة في اربعة اقسام وفق أولولة السيادة على ايران]:

العرب:

استقرت القبائل العربية بعد اكمال الفتح الإسلامي عام 651 للميلاد في انحاء عديدة في بلاد ايران، ونعلم أن جماعات منها استوطنت الجانب الشرقي لجبال زاكروس الوسطى.. غير ان هؤلاء الأجانب (الغرباء) [ويقصد بهم العرب] لم يكونوا على اية حال من الكثرة بحيث يقدرن على الحفاظ على هويتهم [في داخل ايران] إذ يحيط بهم السكان المحليون وهكذا فبعد التزاوج وعملية التمازج الطبيعية تم امتصاصهم ضمن السكان المحليين.. فهناك عائلة عربية من الأزدي أضافت الى اسمها القبلي خلال قرن من الزمن فقط اسم "الكردي".

الديلم:

يبدو ان هناك [في الهضبة الأيرانية] الى الجنوب الغربي من قزوین، ومنذ ازمة بعيدة جماعة من السكان تعرف بالديلم.. وهناك اسباب تدعونا الى الاعتقاد ان الديلم ينتمون لأصول سابقة على الأيرانيين.. ولكنهم تم تأريخهم في القرن العاشر.. على الرغم من عدم انصهارهم كليا في العنصر المهيم.. ولكن بعيد عام 900 للميلاد أخذ الديلم بلعب دور مماثل لدور الشعوب الشمالية [النرويج والدنمارك] في موطن الإسكندنافية [ويقصد بهذه المقارنة موجات الفايكنغ الذين اندفعوا لغزو الجزر البريطانية]، فسرعان ما فتحت بوابات الطوفان فتدفق هؤلاء المغامرون الديلم الذين وصفوا بالأقوام الوحشية كثة الشعور عبر ايران ومنها الى بلاد الرافدين.. ليسيظروا على دار الخلافة في بغداد على مدى قرن من الزمن [ويقصد بذلك الإحتلال البويهى للعراق.. وبذلك يكرر الديلم دور اسلافهم

الكاشيين في بابل]، وترينا تواريخ الأسر الحاكمة المؤلفة في الوقت الحاضر وجود مستوطنات ديلمية في منطقة زاكروس.. [بعد حكم الديلم لبابل وسيطرتهم لاحقا على بغداد من أسوء الفترات التي مر بها العراق لأن هه الدول الأجنبية لاتعنى بالإصلاح والبناء فقد دمر الكاشيون بابل وعمل البويهيون الى تخريب بغداد وقد سبق البويهيون الصفويين في ادخال بدعة اللطم على اهل البيت في بغداد وسب الصحابة]..

الأترك:

تعد الغزوات المتأخرة من آسيا الوسطى على درجة كبيرة من الأهمية.. ففي القرن الحادي عشر تدفقت ارهاط الأوغوز التركية بزعامة اسرة السلاجقة فعبرت ايران الى بلاد الرافدين وارمينيا وآسيا الصغرى.. وقد تجمع هؤلاء الترك على شكل جماعات كبيرة، في الزاوية الشمالية الغربية لأيران حيث فرضوا لغتهم على السكان. ويبدو ان السكان المحليين السابقين في المنطقة ممن بقوا مخلصين لنظامهم القبلي وتقاليدهم، قد دفعوا الى مناطق محايثة لزاكروس..

المغول:

في القرن الثالث عشر، اندفع المغول [الموجة الثانية بقيادة تيمورلنك]، الذين كانوا يقطنون المناطق الواقعة الى الشرق من مناطق الأترك في وسط آسيا غربا ونشروا الفوضى في عموم الشرق الأوسط واتخذوا من تبريز العاصمة في شمال-غربي ايران مقرا رئيسيا لهم، واستقرت جحافل مغولية عديدة في مناطق مختلفة في جبال زاكروس. ولكن عند منتصف القرن الرابع عشر لم يعد المغول الذين اصبحوا مسلمين قوة سياسية واختلطوا مع سابقهم من الترك.. ولأكثر من قرنين [بعد غزو تيمورلنك] عاش الترك في غربي ايران في حال من الإضطراب المستمر حيث شرعوا بتشكيل تحالفات جديدة تمكنهم من السيطرة على مساحات شاسعة واحيانا ينقسموا الى عشائر مفردة تستقر في زوايا نائية من البلاد.. وقد تآثرت المناطق الغربية من ايران مجددا بهذه الحركات المتبدية. وانقسم العديد من القبائل التركية والكردية خلال الحكم الصفوي (1500-1722 م.) ثم استوطنت المناطق القصية في جبال زاكروس..

الأزمنة الحديثة:

إن الكاتلوك [المسرد] أنف الذكر الخاص ببعض التحولات التي حدثت في غربي ايران عبر العصور إنما يدعونا الى الحذر أزاء إصدار أية تعميمات جزافية، إنه يرينا ان من المستحيل في غربي ايران، كما في اي مكان آخر، الحديث عن عنصر غير مختلط، نقي الدم.. ولنتناول الآن المشكلات الإثنية في الوقت الراهن، فإن نحن اعتمدنا اللغة كخيوط دال، فلا بد لنا من الإقرار بأن الوضع سيكون مبسطا للغاية.. إذ يحدثنا البلدان يون العرب في القرن العاشر عن لغة خوزية خاصة بالمناطق القريبة من الأهواز لعلها من متخلفات اللغة العيلامية القديمة "ترتبط لغة الخوز الباقية في مفردتي خوزستان والأهواز [أحواز] و[أخواز] بشعب من شعوب عيلام اطلق عليهم اليونانيون اسم اقليات الأوخوي]، ويستخدم معظم الأقوام القاطنة مناطق الحدود الغربية لأيران لهجات ايرانية [فارسية]، ولكن ثمة استثناءات ففي الجنوب نجد تفرعات عربية في المناطق الجنوبية لعيلام القديمة.. كما نجد التركية منتشرة بين جماعات منعزلة في الجنوب وماتزال سائدة في الأقسام الشمالية في المقاطعة الشمالية الغربية الكبرى أذربيجان وعاصمتها تبريز.. وبين بحيرة اورميا وسلسلة الحدود الغربية هنالك مستوطنات مسيحية ذوات حجوم كبيرة يتحدث سكانها باللغة الأرمنية او السريانية.. ولأن هذا الجزء من البلاد كان يحمل اسم بيرسارمينيا [أرمينيا الفارسية] في الأزمنة البيزنطية فان تواجد الأرمن في هذا البلد [ايران] يمتد



بجذوره الى عهود قديمة.. ويعتقد انهم قد جاءوا من تراقيا [تراقيا او ثراسيا هي منطقة تقع جنوب شرق البلقان تضم شمال شرق اليونان وجنوب بلغاريا وتركيا الأوروبية مع الجزء الأوربي من اسطنبول وتقع على ثلاثة بحار هي البحر الأسود وبحر إيجه وبحر مرمرية]، وكانوا قد استوطنوا لحين من الزمن فرجيا [ مملكة قديمة في قلب الأناضول يختلط تاريخها بأساطير زاهية كما يبداس صاحب اللمسة الذهبية وكورديون صاحب العقدة التي لم يتمكن من حلحلتها غير الأسكندر المقدوني]، وقد اجلوا عن مواطنهم ليقيموا بالقرب من بحيرة فان وينغمروا لاحقا بسكان المنطقة الأقدمين. ويطلق السريان على انفسهم اليوم اسم الآشوريين ولكن هذه التسمية مضللة كثيرا وبخاصة فيما يتعلق باللغة لأنهم يتحدثون بلهجة آرامية تتصل باللغات الآرامية الأخرى في حافات سهول بلاد الرافدين، وتنتسب الآرامية والآشورية القديمة كلتيهما الى أسرة اللغات السامية، إلا أن الآشورية انقضت كلغة كلام بعد تخريب نينوى من قبل الميديين عام 612 ق.م. اما الآرامية فهي لغة مختلفة كانت الجماعات المسالمة التي اخضعها الآشوريون تتحدث بها.. ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن فروق اللغة اما من ناحية العنصر، فإن السريان او على الأقل السريان الجبليين المعروفين بميولهم القتالية فلربما قد استوعبوا جانبا من الآشوريين الحقيقيين [الذين لجأوا الى الجبال بعيد سقوط نينوى].. واخيرا نجد في كردستان مستوطنات صغيرة لليهود [بسبب ترحيل الآشوريين لهم في عهود الأباطورية الآشورية] ممن يتحدثون بالآرامية [بسبب اختلاطهم وطول عهدهم في هذه المناطق] ايضا بالإضافة الى الكردية ولهجات محلية أخرى..

#### القبائل المتحدثة باللغة الأيرانية:

تناولنا في الجزء السابق الأقليات بايجاز، وبتناول الآن الأيرانيين المقيمين في غربي ايران وهم يمثلون مركز اهتمامنا في هذه الظهيرة [اي وقت القاء المحاضرة قيد الترجمة الآن].. بمقدورنا تصنيفهم عموما تحت طائفة ثلاث جماعات: هي اللور، والأكراد والكوران [بالكاف المنبرة].. وهي مفردات غالبا ما اعترض استخدامها الخلط والإرتباك.. فكلمة كردي اكتسبت في اللغة الفارسية القديمة معنى البدوي المتنقل [ويعرف البدوي الكردي باللغة الكردية الحديثة بالكوجر وهي كلمة اشتقت منها كلمة العجر التي ترد احيانا الى القاجار وهي قبيلة حكمت ايران اطلق على حكمها الحكم القاجاري]، وعموما فقد كان الفرس يسمون عرب بلاد الرافدين [عرب العراق] "أكراد سفيريستان" [لم اعثر على معنى لهذه الكلمة].. وعلى نحو مماثل، نجد مؤلف تاريخ الأكراد الشهير شرف الدين [شرف خان شمس الدين البدليسي مؤلف كتاب "شرف نامه" باللغة الفارسية وهو اول كتاب في تاريخ الإمارات الكردية حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي]، يتحدث عن اللور باعتبارهم جماعة متفرعة عن الأكراد.. ولم تكن لهجات اللور واللهجات الكردية معروفة بصورة واسعة حتى بدايات القرن العشرين، عندما اضطلع العالم الألماني او. [اوسكار] مان بدراسة اللهجات واللغات الأيرانية على نحو منظم دراسة ميدانية ومن خلال زيارة القبائل كلها [هو اوسكار مان الذي ولد عام 1909، ووصف اختلاف اللغات في بلاد فارس على انه مماثل للبلبله اللسانية في بابل القديمة وان الاختلاف جاء بسبب التنقلات والهجرة من والى بلاد فارس والأضطرابات الكبرى التي حلت بهذه البلاد].. اما رعية صاحب الجلالة شاه ايران الذين اعتدنا على تسميتهم بالفرس فيسمون انفسهم ايرانيين وهي كلمة مشتقة من الكلمة القديمة أيريان [أريان] وينعتون لغتهم بالفرسي او البارسي وهي مأخوذة من بارس المقاطعة الجنوبية في ايران وعاصمتها الآن شيراز.. بما يؤكد ان الحضارة الأيرانية القديمة ظهرت في جنوبي ايران في المقاطعة التي عرفها الأغريق بأسم "بيرسیس"، وان اللهجة التي اصبحت لغة قومية للبلاد هي لهجة تلك المقاطعة فحسب.. وعلى الرغم من وجود العديد من الاستعمالات في اللغة الفارسية مأخوذة من اللهجات المحلية، فإن اللهجة التي يتحدث بها الأيرانيون ترتبط بمناطق نشوء الأباطوريتين الأخمينية والساسانية..

## اللور:

إن من الوقائع المهمة التي لا بد لنا من تأكيدنا أن اللهجات المعاصرة للورستان تنتسب عموماً إلى اللهجات الفارسية حيث تنأى بنفسها عن اللهجات الكردية إلا أن اللغة ليست ذريعة كافية لأن نفترض أن اللور [ويطلق على اللور في المناطق المحيطة لإيران في العراق بالفيلية ويبلغ عددهم قرابة 80.000 لوري وقد ادت الأوضاع السياسية في العراق إلى هجرة تهجير أعداد كبيرة منهم منذ عام 1975 إلى إيران حيث يرتبطون بصلات إثنية ومذهبية بالإيرانيين] هم بالدم أولاد عمومة للفرس، لأن العديد من القبائل غيرت لسانها عبر التاريخ، ولنا أن نتذكر الشعوب السلتنية [أو الكلتنية التي استوطنت اسكتلندا في العصور القديمة السابقة على الغزو الروماني لبريطانيا] التي أصبح العديد منها يتحدث بالإنكليزية حتى مع احتفاظهم بصلاتهم القومية [وعيهم بهويتهم كسلتيين أو كلتيين].. على ذلك فإن لهجات اللور تميّط اللثام عن أواصر حضارية ولكنها لاتعد دليلاً أكيداً على الأصول الإثنية للمتحدثين بها.. ويمكن للوصف الأنثروبولوجي أن يقدم مؤشرات مفيدة، ولكن دراسة تفصيلية منظمة على نطاق واسع لم تجر على اللور بعد.. وعندما تتم مثل هذه الدراسة فمن المهم عدم إضافة بضع ياردات على الأمتار [المبالغة] في قياس وتصوير اللور فجماعات القبائل متقنة التحديد يجب إبقائها متميزة عن غيرها لأنها قد تظهر متحدرة من أصول مختلفة كما قد يكون هناك اختلاف عنصري كبير بين الطبقات الاجتماعية لأن القبائل المتبدية غالباً ما يعمدون إلى استقبال حكماً [أجانب] ويرحبوا بدخلاء يقدمون لهم الحماية من عدو أكبر [مما يؤدي إلى اختلاط العروق والدماء لدى طبقة اجتماعية دون أخرى فقد تزوج شاه عباس على سبيل المثال امرأة لورية].. غير أن اللور المقيمين في غربي إيران يقعون في أربع مجموعات تبعا لمناطق استيطانهم.. وكما يأتي:

المامسانيين: في الجنوب وبمحاذاة الوديان التي تربط فارس بخوزستان يعيش المامسانيين الذين عملوا قبل القرن الرابع عشر وفي وضح التاريخ على امتصاص السكان المقيمين في تلك الأراضي كالثوليين "من ذاع صيت لهم سلبي في زمنهم" ..

الكوجيلو: ويقومون إلى الشمال من المامساني ويختلطون كثيراً مع العشائر التركية المقيمة معهم.. ونلاحظ أن اسم عشيرة رئيسة بينهم هو "اغاشاري" وهو اسم قبيلة تركية ويعني "رجال الغابة" ..

البختياري: ويقومون إلى الشمال من الكوجيلو بين اصفهان وخوزستان ويعد اسمهم حديثاً نسبياً ويبدو أنه مشتق من اسم شيخ محلي. وكان الأسم المبكر لأراضي البختياري هو لورستان الكبرى من 1155 م. وحتى 1423 م. وكانت تحكمهم سلالة حاكمة مهمة يقال أنها جاءت من سورية.. اللور الأدنى في بيش كو وبشتي-كو: أي "الجانب الشمالي والغربي من لورستان"، وكان يشكل تحالفاً تحكمه أسرة حاكمة للفترة 1184-1597 م. وتعني بيش-كو هذا الجانب من الحدود وبشتي-كو ما وراء الحدود أي على الجانب العراقي من السفح أو السور الغربي لزاكروس..

ليس من اليسير إجمال خصائص العنصر الأيراني، وبمقدورنا البدء على أساس الإنطباع العام الذي تنقله الملامح التصويرية المتمثلة بالمنحوتات البارزة للأخمينيين [في برسيبوليس].. وعلى ذلك يبدو المامساني والبختياري الذين يقومون في أماكن أقرب إلى فارس أكثر أيرانية من الفرعين الآخرين، كما يتفق مع توقعاتنا، ولكن يجب هنا أن ننتبه إلى الشرائح الدنيا أكثر من الشيوخ [الشرائح العليا] الذين يقدرن بسهولة على الإختلاط مع جيرانهم بطريق الزواج والحصول على زوجات من [الشرائح العليا، أي زوجات من الطبقة الاجتماعية نفسها].. كما تتغير الملامح الفيزيائية لرجال القبائل العاديين من جراء تعرضهم لظروف صعبة بحكم حياة البداوة كالترحل الموسمي بحثاً عن الكلأ لدوابهم وقطعانهم، كما يتسلفون من السهول إلى الهضبة العالية عبر انهار متجمدة حفاة فوق الثلوج المترامية خلف معيظهم في ممرات جبلية وعرة شديدة الإنحدار.. ويعد اللور القاطنين الشمال الغربي الأكثر أثارة وغرانبية في مظهرهم، فقد وصفهم صديق إيراني لي بانهم منجم من اللحي [لكثافة لحاهم وطولها] وهذا في الواقع هو الإنطباع الذي يتركه منظرهم على الرائي وبخاصة مع قصر قاماتهم إذ تبدو وجوههم وكأنها وجوه كائنات متوحشة وكالحة وكأنها وجوه اجداء.. فبالإضافة إلى شحة الطعام،

يعاني اللور من سوء الهضم على الدوام ولك لأستعمالهم الطحين من الذرة البرية..وعلى اية حال فثمة سمة بدائية وغريبة لهؤلاء اللور توحى بأنهم، على الرغم من لهجاتهم الإيرانية، ينتسبون لجنس غريب متمحل في هذه الأنحاء.. و[كالببدو الرحل من العرب] يعيش اللور في خيم سود.

الأكراد:

يوجد الأكراد في إيران في البداية في الشريط المتوازي الى الجنوب من كرمنشاه، ويمتد في حزام عريض حتى جنوب بحيرة أورميا، ثم يتصل [هذا الحزام] على شكل شريط رفيع حتى جبل أرارات..كما يشكل الأكراد [تكتب احيانا كرد او كورد] عنصرا مهما في الدول المجاورة..ففي العراق يوطنون المنطقة الجبلية كلها من البلاد وفي شمالي سورية يمتد وجودهم حتى البحر الأبيض المتوسط تقريبا. وفي تركيا تعيش اعداد كبيرة من الأكراد بالقرب من بحيرة وان [فان] ومن فان يتصل وجودهم باتجاه الغرب حتى مشارف انقرة..ولكن الوضع يبدو ضابيا [غامضا] بعد إبادة الأرمن خلال الحرب 1914-1918، عندما منحت قارص [مقاطعة ارمنية وعاصمتها في أقصى الشمال الشرقي لتركيا تعرض فيها الأرمن لإعتداء تركي بقيادة واحد من الرباعي الإتحادي (أنور وجمال وطلعت وكاظم)كاظم قره بكر] لتركيا.. وعموما يمثل الأكراد مجموعة مهمة من السكان المتجانسين مابرحوا في انتظار حل نهائي لقضيتهم..واللغة الكردية إيرانية من غير شك ولكنها تختلف كثيرا عن اللغة الفارسية..فالكلمة الهندو اوربية التي تطلق على القلب نسمعا ك "زيرد" في اللغة الكردية و"دل" في الفارسية..والأسم في الكردية هو "نيءو" و "نيم" في الفارسية..فليس هناك في الكردية لهجة عامية مشتركة بل نجد ان لكل قبيلة لهجة خاصة بها..على الرغم من ان الخصائص الرئيسية للغة الكردية توجد في اللهجات الكردية كلها..وهذا شيء مذهل نظرا لانتشار الواسع للقبائل الكردية واعتقد ان ذلك يشير الى وجود لغة رئيسة قديمة وقوية انشقت عنها بسبب التأثيرات المحلية والتشويهاات اللهجات الكردية المختلفة..والسبيل الوحيد لتفسير التناسق اللساني كما ارى هو ان نفترض ان اللسان الكردي قد تحدر عن اللغة الميديية..وعندما دمر الميديون المملكة الآشورية، انتشر العديد من القبائل الميديية في الفراغ ومع اتساع القوة الميديية حتى حدود ليديا [مملكة قديمة غربي الأناضول تقع حيث ازمير وسارديس وقديما اسبارطة] فان القبائل الميديية التي تحدر عنها الأكراد انتشرت في آسيا الصغرى..ولابد ان نتذكر مجددا خطر الخط بين اللغة والعنصر، فالأكراد تختلف أنواعهم حتى ضمن القبيلة الواحدة حيث ترينا إحدى الصور الفوتوغرافية التي كنت قد التقطها شيخا كرديا هو جعفر أغا شكاك كنت تعرفت عليه في تبريز والذي اعدم عام 1904 بأمر من الحاكم العام..فوجهه البيضوي وانفه المعتدل متوسط الحجم ومظهره المفعم بالنشاط تصف مايمكننا ان ننعته بال نموذج الرجولي للكردي الأصيل، غير ان مظهر معظم الأكراد يبرز بقوة تأثيرات جيرانهم العرب أو الأتراك أو الأرمن أو السوريين..وقد توصلت في الآونة الأخيرة الى النتيجة القائلة ان المغول وخلال هيمنتهم على الغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، كانوا قد انتزعوا الزعامة من بعض العشائر الكردية إذ يطلق على إحدى القبائل الكبيرة الى الجنوب من بحيرة أورميا أسم المكري، وهو اسم معروف لقبيلة في اقاصي المشرق..وفي افتراض التزاوج بين الأكراد وغيرهم، نخطيء إن نحن فكرنا في حالات الإختطاف [اختطاف العروس] فقط، فالشباب الكرد يفكرون في الأغلب تفكيرا رومانطيقيا، وكان القنصل البريطاني في تبريز قبل خمسين او ستين سنة يجد صعوبات كبيرة في محاولته ارجاع ابنة احد الرعايا الإنكليز (وهي من اوربا الوسطى في أصلها) كانت قد اختطفت، ولكنها رفضت الانفصال عن غاصبها.. وهذه الحالات تتكرر كثيرا في كردستان حيث تتمتع النساء بمكانة مستقلة..ويخبرنا ايلي بانستر سونا [مؤلف كتاب "رحلة متنكر في بلاد الرافدين وكردستان" عام 1912] الذي امضى فترة طويلة متنكرا بين الأكراد الجنوبيين [أكراد العراق] ان النساء يستقبلن بكل احترام ضيوفهن في الخيام بغياب ازواجهن. وهناك العديد من الحالات التي تقوم بها نساء كريدات بإدارة شؤون قبائلهن بنجاح: ففي عام 1913 قابلت شخصا إحدى هاته النساء في منطقة حلبجة(كانت تركية في ذلك الوقت اما الآن فهي في العراق)..والمرأة هي عديلة خانم [كانت تدير شؤون عشيرة الجاف بعد توفي زوجها] التي يسميها

الأنكليز ليدي عديلة [السيدة عديلة] وقد اشتهرت خلال الحرب 1914-1918 عندما انقذت حياة العديد من الضباط الإنكليز [وقد كتبت جرتروود بيل في رسالة لها عام 1921 عن السيدة عديلة بقولها (انها ملفتة للنظر بثيابها الكردية الزاهية وجدائل شعرها الفاحم " المصبوغ" المتدللية من تحت غطاء رأسها الفخم وحتى وجناتها الملونتان.. وواصلنا حديثنا بالفارسية التي تمكنت من خلالها أخبارهم مدى التقدم الذي احرزه العراق في اثناء حكم فيصل وأكدت لهم ان كل ماتأمل تحقيقه هو أن يعيش طفلينا "العراق وكردستان" بسلم وصداقة أحدهما مع الآخر] وقد قام القائد الإنكليزي بمنحها نوطا لمنجزاتها ومعه لقب خان بهادور [تعني كلمة بهادور الهندية شجاع وهو لقب تشريفي تمنحه الحكومة البريطانية للمسلمين الهنود حصريا .. ويصاحب اللقب ميدالية فضية او ذهبية تشبه نوط الشجاعة]، ويتميز الزي الكردي بين السليمانية واورميا بأسلوبه المتفرد والأصيل حيث يتألف غطاء الرأس [الكلاو] من قبعة مدببة ملفوفة بشريط من الحرير وافر بعرضه وطوله تتدلى منه كراكيش فوق العينين.. وفي الصيف يرتدي الرجال سروايل "شراويل" من القماش الأبيض [والعسلي] فضفاضة مع قميص طويل الأكمام بحيث تصل الأرض .. وفي اثناء القتال تربط هذه الأكمام معا خلف الظهر لتأمين حرية الحركة لليدين.. وفوق القميص يرتدي الأكراد معطفا قصيرا وحول الخصر يشد الأكراد حزما [بشت] يتألف من شريط ضيق من القماش يصل طوله بين 1 و 20 ياردة [مايعادل 4 الى 5 امتار يثبت بعدد من العقد امام البطن.. ويرتدي رجال قبائل أخرى غربي اورميا معاطف اطول كثيرا على غرار الفرس.. مع احذية عالية الأطراف [تشبه الجزم] لركوب الخيل.. ويرتدي بعض الأكراد صدرية مزخرفة الحوافي فوق القميص، وفي تركيا يحاكي الأكراد الثياب التي يصممها الخياطون للأتراك [فرض أتاتورك الغاء الأزياء التقليدية وتبني الأزياء الغربية]، ولهذا فالزي الكردي القبلي الجميل هو في تركيا الى زوال لسوء الحظ ويحل محله بسبب ضغط الحكومة زي اوربي عادي لا إثارة فيه ولاجمال.. لذلك نجد ان الأكراد في ملامحهم وفي ثيابهم يقعون تحت تأثيرات عديدة.. مما يؤثر سلبا على العوامل التوحيدية كالعادات القبلية واللغة التي تختلف من قبيلة الى أخرى ولكنها مفهومة فيما بين الأكراد.. اما فيما يتعلق باللور فإن اية دراسة فيزيائية انثروبولوجية قد تجرى في المستقبل عليهم لابد ان يتوخى الدارسون فيها الحذر لتفادي اصدار.. التعميمات المستعجلة لأن لتجمعات القبلية قد تنم عن نويات اثنية اصلية.. والسجلات القبلية المتوفرة هي على درجة كبيرة من الأهمية وباستخدامها بمقدورنا ان نحدد التأثيرات القديمة والمتباينة التي تركت بصماتها على الأسلاف..

## الكوران:

يقدم الكوران (الكوتران) مثلا جيدا على الحاجة الى اجراء بحث تاريخي ولساني دقيق قبل تنسيب اية جماعة الى قبيلة ما من القبائل.. فقد تعامل الكتاب المسلمون منذ القرن الرابع عشر مع الكوران على انهم أكراد.. وهنا ايضا بين أوسكار مان أن اللهجة الكورانية تفتقر الى الملامح المميزة الرئيسية للغة الكردية وانها ترتبط بوشانج بلهجات وسط ايران ( أي باللهجات التي لا ترتبط بمقاطعة فارس)، والجماعة الرئيسية للكوران تستوطن الى الشمال من معبر زاكروس الرئيسي الذي يمر في الطريق التاريخي الواصل بين بغداد وكرمنشاه، غير ان الأكيد ان العديد من القرى المنعزلة الواقعة الى الشرق من هذه المجموعة الأكبر للكوران في هذه المنطقة مازالت تتحدث باللغة نفسها.. وفي منطقة اورمان [هورامان منطقة تمتد غربي كرمينشاه وشمال- شرقي العراق وتشمل في ايران مدينة ماريفان وفي العراق حلبجة وتمثل من الناحية العقيدية موقعا لانتشار اديان قديمة كالكاكية وأهل الحق واليزدانية والزرادشتية وتوجد في جبالها منحوتات آشورية لسرجون الثاني مما يدل على انها كانت تحت النفوذ الآشوري كغيرها من مناطق جبال زاكروس]، الى الشمال يتحدث الناس لهجة مماثلة للهجة الكورانية.. كما ان الجماعة الكبيرة المعروفة بالزاوا التي تستوطن بين ديار بكر وأرضروم بما يبعد مئات الأميال الى الشمال الغربي من الكوران يتحدثون بلغة لها اواصر قوية بالكورانية.. وفي اثناء حرب القرم [حرب بين روسيا والدولة العثمانية لم يكن للمجندين الأكراد او العرب ناقة فيها ولاجمل] ساق الروس العديد من الأكراد اسرى الى سمولنسك [مدينة روسية تقع على نهر الدنيبر

جنوب غربي موسكو دمرت عدة مرات لوقوعها على الطريق الى موسكو وتعد اليوم مركزا لصناعة المعلبات وصقل الألماس]، فقام الدكتور [بيتر ايفانوفيتش ليرج - عالم آثار ومستشرق روسي كتب عن أكراد الزازا في كتاب نشره عام 1857 في بيترسبورج] ب. ليرج بزيارتهم بايفاد من قبل الأكاديمية الروسية للعلوم.. وقد لاحظ هذا العالم مباشرة الفرق بين اللغة الكردية ولغة الزازا.. غير ان العلاقات القائمة بين اللهجات الكردية المنتشرة في جهات متباعدة لم يتم تقويمها على نحو صحيح إلا في الوقت الحاضر [ اي وقت كتابة مينورسكي لهذه الدراسة]. فالكوران قبيلة مثيرة لأهتمام كبير لأن لديهم شعرهم الغنائي والملحني فضلا عن دين غاية في الغرابة [يستخدم اليزدانية شعارا لهم شمسا صفراء باحدى وعشرين نهاية مدبية "كونهم يقدسون الرقم 21" تشابه الشمس التي يضعها الأكراد في العراق على علمهم]، وكنت قد نشرت عددا كبيرا من الوثائق عن هذا الدين [يقصد مينورسكي العلي اللهيية التي كتب فيها أما الكاكانية او الكاكية فقد كتبت فيها دراسات عديدة من اهمها دراسة الأب انستاس الكرملني المنشورة في مجلة المشرق بعنوان "تفكهة الأذهان في التعريف بثلاثة أديان" ودراسة عبد المنعم الغلامي "بقايا الفرق الباطنية في شمال العراق"، ودراسة الدكتور كامل مصطفى الشيببي وغيرهم كثير]..ولهذا الدين تشعبات كثيرة لدى الأقوام غير الكوران في ايران وجاراتها.. وكانت اللهجة الكورانية قد استخدمت كلغة بلاط [ملكي] من قبل سلالة صغيرة في القسم الأيراني من كردستان.. وأخيرا فإن الكوران والقبائل القريبة منهم يعدون زارعين وبستانيين [مهرة في زراعة وزينة الحدائق] بامتياز، وتلك سمة تشير الى تقاليد حضارية قديمة. فقد أعجبت كثيرا في هاورامان بالمستوى الرفيع في بستنة المدرجات المروية في سفوح التلال.. وهذه الخصائص ان اخذت جملة، فإنها تؤهل الكورانيين والهاورمانيين لأن نعتبرهم جماعة ايرانية خاصة. واني اوليت اهتماما خاصا لدراسة الكوران ودينهم لبضع سنين، وفي عام 1914 اتاحت لي فرصة لزيارة بلدهم الجميل ورؤية مواطنهم الخاصة المحجوبة في قلب البساتين الخضراء والجداول الدفاقة وحافات الجبال الناتئة الصفراء في الوديان القصية لزاكروس.. وفي الآونة الأخيرة قمت مجددا بمراجعة المصادر الخاصة بهم للتيقن من اصولهم فوجدت في اعمال [كتاب ل] بلداني عربي من القرن التاسع الشكل القديم لتسميتهم، وهو (الجبارقة) حيث يفرق البلداني المذكور بينهم وبين الأكراد [ يبدو ان تصحيحا قد حدث على هذا الاسم في تهجنته الإنكليزية لدى مينورسكي والمقصود على الأرجح هو (الجرامقة) الذين ورد ذكرهم في الطبري والمسعودي وابن الأثير وابن العبري وابن خلدون وغيرهم ويرى سليمان الصانع في فصل خصصه لهم انهم من الفرس ويرى انستاس الكرملني انهم كانوا يدينون ديانات مختلفة بينها المجوسية]، وترينا تسميات منطقة كرمنشاه آثار هذه التسمية للقبيلة المذكورة [الجرامقة]، وهي اشارة على سلالة حاكمة مثيرة للأهتمام قد تكون هي الأسرة الحسنوية (من القرن العاشر الى القرن الحادي عشر) [إمارة كردية (1015-959) حكمت غربي ايران واجزاء من شمالي بلاد الرافدين مركزها مدينة دينور الواقعة شمال-شرقي كرمنشاه، عاصرت وجود الديلم من بني بويه في بغداد]، [وبمقدورنا ان نفس اهتمام الكوران بالبستنة والحدائق تعقبها على ماذهب اليه مينورسكي من خلال انتساب ابو حذيفة الدينوري "وهو غير ابن قتيبة الدينوري الى دينور واهتمامه بالنباتات وتصنيفها في كتاب كبير اسماه "كتاب النبات" ]..كما وتابعت الكوران الى قلب ايران ولدي من الذرائع مايكفي للأعتقاد انهم قد يكونوا وفدوا من جنوبي بحر قزوين تلك المنطقة التي تعد عنبرا عظيما للشعوب ونقطة الإنطلاق للعديد من الهجرات.. [ربما يقصد حضارة حسنلو القديمة جنوبي أورميا، وقد تحدر الكاشيون والديلم من بني بويه من شواطئ بحر قزوين.. ويرى الأستاذ طه باقر ان لفظة كاشيون مشتقة من قزوين وتعني قزوينيون]. ومن المثير للأهتمام من منظور العلوم الإجتماعية، أن قبيلة الكوران في الوقت الحاضر تتألف من عشائر عديدة منها مايتكون من كوران اصليين ومنها مايتكون من أكراد جنوبيين [عراقيين] فحسب.. ومن المدهش ان نجد ان الأكراد الذين ينطون في ائتلاف الكوران هم من السنة الملنزمون بمذهبهم وينظر هؤلاء الى دين اولاد عمومتهم من الكوران باعتباره هرطقة صريحة، مع ذلك فان العلاقات السائدة بين هؤلاء واولئك [الكوران السنة والكوران العلي إلهية] جيدة .. وهذا يبين، مرة أخرى، ان سبل المعيشة المشتركة والتشابه في العادات ليست ضمانا لوجود اصل مشترك بقدر تعلق الأمر بقبيلة اصلية بهامش اضيف اليها في اوقات لاحقة..

## خاتمة [دراسة مينورسكي]:

تناولت في هذه الدراسة بعض الملاحظات حول سكان غربي ايران بتنوعهم الكبير واهمية هذا التنوع..ولابد من مرور العديد من السنوات قبل ان يصار الى معالجة المشكلات ذات الصلة على نحو كامل وسوف اكون سعيدا ان لاتضيع هذه القطرة [دراستي هذه] في خضم بحر الدراسات المستقبلية. وبالإشارة الى المواضيع التي تقع في اولويات المعهد الملكي للدراسات الأنثروبولوجية لابد من تأكيد عدد من النقاط المنهجية اهمها القيام بالدراسات الأنثروبولوجية والإثنية في ضوء [يدا بيد مع] الدراسات الفيلولوجية [علم أصول الكلمات] والدراسات التاريخية، وبخاصة عندما نطأ ارضا متشعبة بالذكريات التاريخية كأيران المفتوحة على الجهات كلها..وبتشریف عدد من اصدقائي الأيرانيين بحضورهم هذه المحاضرة ، بودي ان اضيف مؤكدا في الختام باتي بحديثي عن شعوب ايران وتنوعهم، لا اريد باي حال من الاحوال ان اثير شكوكا حول الوحدة القديمة لبلادهم بل ان اظهر كل جوانبها الجميلة وهي جوانب متداخلة احدها بالآخر تماما كالألوان التي تزين بساطا زاهي الالوان)..

ومع هذا البساط البشري زاهي الألوان نأتي الى ختام ترجمتنا لمينورسكي وقبله دي غوية للأقليات او الجماعات البشرية التي جعلت من حدود ايران الغربية والعراق الشرقية موطننا لها وعقيدتي الشخصية تتجذر في ايماني بان البشر سواسية في هذه الأرض وان اعظم جهد يبذله الإنسان تجاه اخيه الإنسان هو تمتين الاواصر الاخوية بين البشر بحيث ندع اخانا الإنسان يمشي بجانبنا وليس خلفنا، مع ذلك فقد جاء اهتمامي بدراسة هذه المناطق المحايثة لجبال زاكروس لكونها مصدرا للعديد من الثورات والفتن عبر التاريخ وان العراق والعراقيين كانا المتضرر الأول من هذه القلاقل والفتن .. ولا غرابة فهي كمنطقة ثغور محمية طبيعيا بالاهوار في الجنوب والجبال في الوسط والشمال وتقدم ملاذا آمنا للمنشقين والإنقلابيين والعصاة الثائرين على الدولة ونظامها وحواضرها ... وهي مناطق مختلطة بالضرورة كما رأينا من دراسات المتخصصين التي اخترنا اثنتين من افضلها وابرزها وترجمناهما بالتمام الى العربية..وفيما يأتي نتعرض بإيجاز شديد لعدد من الحركات والفتن التي انطلقت من هذه المناطق سواء التي تمتد بجذورها الى مدن العراق او مدن ايران او حتى ماوراء العراق وايران..

### الحركات الانقلابية المنطلقة من الثغور الشرقية للعراق:

يسجل التاريخ اول دور للزط، كونهم من سكان الاهوار، كان على عهد مصعب بن الزبير بعد استيلاء المختار الثقفي على الكوفة..وكان موالي البصرة يجدون في الزنج والزط أداة جاهزة ومتوفرة في ثوراتهم ضد الأمويين، وعندما قدم الحسين (ع) الى كربلاء خرج يزيد بن مسعود النهشلي وهو من قبيلة تميم على رأس جماعة لنصرة الحسين فانضم اليه الزط والسبابجة او [السيابجة] الذين كان الإمام علي (ع) قد استخدمهم مع جماعة من الزنج لحماية بيت المال في البصرة، ولكن المصادر تصمت عن تفاصيل تلك المشاركة وسر ارتباط الزط ببني تميم في تلك المرحلة المبكرة..وعندما قام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بثورته ضد الحجاج أنضم اليه الموالي ومعهم نفر من الزط لاحبا بعبد الرحمن بن الأشعث بل كراهية بالحجاج ومحاكاة للموالي من باهلة وغيرهم..

وكان الزط القاطنين في جنوب العراق قد تكاثر عددهم وقويت شوكتهم وتزايدت قوتهم أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون مما شجعهم على إثارة القلاقل رغبة في تحسين وضعهم المعاشي ونكاية بالسلطة العباسية. فاستغلوا وجود المأمون في مرو في بداية خلافته ليعلنوا تمردهم فسيطروا على طريق البصرة النهري، وبدعوا بالإغارة على السفن الذاهبة إلى بغداد ونهب حمولاتها فانقطع بذلك عن بغدادا جميع ماكان يحمل إليها من البصرة في السفن..

ولما استقر المأمون في بغداد سنة 204هـ / 819م شعر بخطرهم ورأى ضرورة التخلص منهم، فأوكل هذه المهمة إلى عيسى بن يزيد الجلودي سنة 205هـ - 820م . غير أنه أخفق في القضاء عليهم، فولى داود بن مسجور سنة 206هـ - 821م ولاية البصرة وكسرواليمامة والبحرين وعهد إليه بمهمة قتال الزط.. ولكنه لم ينجح في اخماد انتفاضتهم لوعورة مكائهم في الأهوار.. مما دفع نصر بن شيبث العقيلي القائد في كيسوم من نواحي حلب الى السخرية بالمأمون، كما اسلفنا، لعدم تمكنه على الزط.. وقد أدى أخفاق المأمون في القضاء على الزط الى تشجع الزوج والموالي للانضمام اليهم فتوسعوا باعمال النهب والسلب ونشروا الذعر في البصرة واطرافها مما دعا المعتصم الذي يختلف عن اخيه المأمون بميوله العسكرية وحبه الحرب الى ارسال جيش كبير لمواجهةهم في (219هـ/824م) جعل على قيادته أحمد بن يوسف بن مسلم بن قتيبة الباهلي . ولكنهم هزموه وفرضوا المكوس والرسوم على السفن المارة في الطريق المائي من البصرة إلى بغداد . وكان سبب نجاحهم وانتصارهم على الجيوش العباسية اتخاذهم أسلوب حرب العصابات وهو أسلوب الكر والفر، تعينهم طبيعة الأهوار التي يحسنون المناورة فيها.. وعلى أثر انهزام جيش أحمد بن يوسف الباهلي قرر المعتصم القضاء على فتنة هذه العناصر الساخطة نهائياً . فجهز جيشاً قوياً سخر له امكانيات الدولة كلها وجعل على قيادته عفيف بن عنبة، وبلغ اهتمام المعتصم بهذه الحملة أن وضع محطات البريد على طريق بغداد - البصرة - وجهزه بالمون اللازمة والخيول السريعة فكانت أخبار المعركة تصله وهو بمدينة السلام أولاً بأول في ساعات من النهار أو أوائل الليل..

وقد اشرك المعتصم المصريون من سكان دلتا النيل في قتال الزط نظراً لتعودهم السباحة والقتال في دلتا نهر النيل ، وقد أدرك المعتصم التشابه بين دلتا النيل وأهوار العراق حينما كان والياً على مصر أثناء خلافة أخيه المأمون ولهذا قرر الاستعانة بالسجناء المصريين الذين حملهم معه الى العراق في محاربة الزط فكانوا يسبحون في هذه المستنقعات مثل السمك دون أن يراهم أحد ثم يهاجمون الزط فجأة بأسلحتهم نفسها حتى تمكنوا منهم.. [وكان المصريون عبر التاريخ عوناً للعراقيين في حروبهم ضد القوى الأجنبية ولاسيما في الهجوم الميدي البابلي المشترك على نينوى عام 612 ق.م.]. والحقيقة أن تمرد الزط هذا ماهو إلا بداية سلسلة من حركات العصيان والتمرد الأخرى التي شهدتها منطقة جنوبي العراق كتمرد الزنج وحركة القرامطة وحركة المشعشع وعمران بن شاهين وغيرها دخولا في العصر الراهن..

ولابد من التأكيد أن هذه الحركات الانقلابية كانت تتخذ واجهة دينية عقيدية تتمثل بدعوة الرفض الى مشروعية الخلافة لأهل البيت وان هذه المشروعية انتزعت بالقوة والمكر لصالح الأمويين ومن بعدهم العباسيين، كما اكتسبت هذه الحركات بعداً طبقياً لأن معظم الزط والزنج والموالي وأضرابهم هم من الفلاحين والفقراء مما كثف لديهم الشعور بالظلمة. و جعل من منطقة جنوبي العراق والأهواز أراض حاضنة لأدعياء المهودية كصاحب الزنج وحمدان قرمط وفلاح بن محمد المشعشع وغيرهم.. ويذكر المقرئ أن رجلاً يعرف بأبي حاتم الزطي قصد البوراني وهو أحد دعاة القرامطة فحرم على الناس أكل اللحوم والثوم والبصل والكرات والفجل.. ولا نستغرب ان يعكس هذا الزطي بتحريم تناول اللحوم العقيدة الهندية.. ولكن لانفهم لماذا حرم عليهم تناول الثوم والبصل.. مما يذكرنا بالبدع التي ياتي بها المهووسون والخرقي واصحاب العقائد الغربية كتحريم اليزيدية لتناول الخس والهلانة او ارتداء الثياب الزرقاء.. وقد سبقت حركة القرامطة، ثورة الزنج التي وجدت بالزط حليفاً قوياً من اهل الأهوار، فنجح الزنج [وهم سودان جلبهم العباسيون من شرقي افريقيا للعمل بالزراعة وازالة السبخ من الأراضي المجاورة للأنهار والمجسمات المائية وجني التمور وعمل الدبس] بإسقاط الأبله والبصرة وواسط حتى تمكن الموفق شقيق الخليفة العباسي المعتضد وأبنة ابي العباس من إخماد الثورة وتحرير النساء والأطفال الذين اسرهم الزنج في أثناء تخريبهم للبصرة حتى اصبح خراب البصرة يضرب مثلاً في العراق.. وبينما يجمع المؤرخون والبلدانيون القدامى على ان ثورة الزنج هي الأسوء بما جلبته من خرائب، يرى معاصرون يساريون انها ثورة حميدة ذات اهداف انسانية.. ونستدل

من التواريخ القديمة على ان الزنج وحلفائهم من عبيد البطائح وزطها كانوا يرومون الإنتقام والتخريب ..ونقتبس جانباً من وصف أخذ بتصريف عن الطبري لما فعلوه بالبصرة وأهلها:

"وقد الحَّ الزنج عند دخولهم البصرة في طلب الاموال المخبأة ، فمن وجدوه ساقوه الى يحيى بن محمد - احد قادة الزنج - وهو يومئذ نازل ببعض سكك البصرة ، فمن كان ذا مال، قرره حتى يستخرج ماله ويقتله، ومن كان مملقاً [فقيراً] قتله معجلاً."

وفي سبيل استصفاء جميع اموال اهل البصرة عمد صاحب الزنج الى استخلاف احد اتباعه المسمى ( شبل ) ليسكن اهل البصرة ، حتى يظهر المستخفي ، ومن عرف بكثرة المال، فلما ظهروا، اخذوا بالدلالة على ما دفنوا واخفوا من اموالهم، فكان لا يخلوا في يوم من الايام من جملة، يوتى بهم ممن عرف منهم باليسار فيستنظف ما عنده ويقتله، ومن ظهرت خلته عاجلة بالقتل، حتى لم يدع احداً ظهر له الا اتى عليه وهرب الناس على وجوههم، واستخفى من سلم من اهل البصرة في ابار الدور فكانوا يظهرن ليلاً فيطلبون الكلاب فيذبحونها ، ويأكلونها، والفأر والسنابير فافنوها حتى لم يقدروا على شيء منها.

اما من بقي من الاحياء فقد استرق صاحب الزنج معظمهم، ووزعهم على جنده، حتى بلغ الامر انه كان ينادي فيه على المرأة من اشراف البصرة، فكانت الجارية تباع منهم بدرهمين وبثلاثة دراهم، واخذ كل زنجي منهم العشرين والثلاثين امرأة.

وبعد ان انتهى صاحب الزنج من تدمير المدينة، انسحب الى موقعه الحصين على نهر ابي الخصيب الذي اطلق عليه (المختارة) ذلك ان احتلال البصرة احتلالاً دائماً يعتبر امراً مستحيلاً، خصوصاً وان الخلافة العباسية سوف تحاول استرجاعها مهما كلف الامر".

كما استمرت منطقة الأهوار على توليد الحركات الانقلابية فقد قامت حركة المشعشع محمد بن فلاح الذي اسس دولة اطلق عليها الدولة المشعشعية (1436-1724م.) وقد تتلمذ المشعشع على يد أحمد بن فهد الحلي وانتقل الى بطائح الأهواز وتحديدا في مدينة الحويزة وهورها ليعلن مهاديته ويؤسس دولته..وقد اشار المؤرخ عباس العزاوي الى وجود علاقة وتراسل بين الشيخ صفي الدين اردبيلي جد اسماعيل شاه صفوي مؤسس المذهب الشيعي دينا رسميا في ايران والمشعشع..كما تأسست الى الشمال من قصر شيرين دولة طائفية اخرى عرفت بدولة الحشاشين التي لاختلف كثيرا في أيديولوجيتها وبطانتها واهدافها عن دولة القرامطة او دولة المشعشعين..

وفي دراسة انثروبولوجية علمية قام بها هنري فيلد على قبائل الأهوار في العراق برهن على استمرار وجود دماء زنجية ومنغولية وهندية لدى عراقيين في هذه المنطقة فضلا عن عادات ومفردات وتقاليد هندية فيها كثيرة لامجال لتفصيلها بدون بحث خاص يفرد لهذه الدراسة..ويتوفر كتاب هنري فيلد بنسخة نادرة في مكتبة جامعة الموصل..

الخاتمة:

نستدل مما سبق ان الحدود الشرقية للعراق الغربية لأيران كانت مراكز استقطاب وملاذات ترحيل لجماعات اثنية متعددة منها ما اتصل بالسكان الأصليين، ومنها ما حافظ على تقاليده الحضارية ولسانه القومي وديانته..وان ابرز هذه الجماعات الزط او العجر الذين تناولهم دي غوية في كتابه الذي اعتمد فيه على مصادر تاريخية وبلدانية عربية قديمة لاغبار على صدق مادتها..وان هذه الجماعات وبخاصة في جنوب العراق تحالفت مع القوى المناهضة للدولة الشرعية وتبنت عقائد وافكار خلافية سعت بها الى تقويض الأسس الفكرية والعقيدية للدولة العربية..ويتركز وجود الزط في منطقة الأهوار وامتداداتها التاريخية حتى مدينة واسط..وقد اظهرت دراسة حديثة اعتمد الباحث فيها على نتائج



فحوصات الحمض النووي للقبائل في منطقة الأهوار ان قبيلتي بني لام وآل بو محمد ينتسبون الى العرب على الرغم من وجود دماء هندية وزنجية ومغولية في بعض افرادها بينما ينتسب الفريجات والشبنكارا في معظمهم الى دماء غير عربية .. هندية وغيرها... ويظهر من تناول فلاديمير مينورسكي الأقليات الأثنية الى الشمال من منطقة الأهوار وعلى طول الحدود العراقية الأيرانية بمحاذاة جبل زاكروس ان كثيرا من القبائل المحسوبة على الأكراد كالكوران [والشبك] ليست كردية في اصولها.. وهي دراسة ابحاثية تدعونا الى المزيد من المتابعة للمشكلة الإثنية في العراق... ولاسيما في وقت يسعى فيه كل طرف فيه الى تأسيس دولة.. وتاريخ خاصين به على حساب التاريخ العربي والسيادة العربية الإسلامية، مستفيدا من العدوان على العراق وماخلفه من اوضاع غريبة وتغريبية وشاذة..

ملاحظة: الأقواس الهلالية كلها لتحديد النصوص المترجمة او الإيضاحات ضمن النص وتشير علامات الاقتباس او الفوارز المقلوبة المزدوجة الى نصوص مأخوذة من مصادر عربية وغيرها وردت في السياق.. أما الأقواس المضلعة فتوضيحات المترجم مؤلف البحث.. والصور المختارة هي لتوضيح جوانب من حياة الأهوار والعجز فضلا عن خرائط واسماء وردت في النص مع صور للمستشرقين الرئيسيين دي غوية ومينورسكي.. فضلا عن صورة لنولدكة الذي اعتمدنا على مؤلفاته في معلوماتنا عن الزنج وعن سمات الشخصية السامية..